اللغة الانفعالية

بين التعبير القرآني والنص الشعري

في علم اللغة النفسي .....

اللغة الانفعالية

بين

التعبير القرآني والنص الشعري

الأستاذ الدكتور

عطية سليمان أحمد

وكيل كلية الآداب – جامعة السويس

تقديم

الأستاذ الدكتور / رمضان عبد التواب

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

الكتاب : اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنص الشعري

المؤلف : الأستاذ الدكتور عطية سليمان أحمد

ت 064/3126648 – 01273932103

E-mail: prof.attiy@yahoo.com

رقم الطبعة : الأولى
تاريخ الإصدار : 2017 م
حقوق الطبع : محفوظة للناشر

الناشر : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى
العنوان : 82 شارع وادى النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر
تلفاكس : 561 33034 (00202) 0122/1734593
البريد الإليكترونى: m.academyfub@yahoo.com

رقم الإيداع : 20341 / 2016
الترقيم الدولي : 978 – 977 – 6149 – 98 - 4

تحذير :

حقوق النشر : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقة سواء أكانت اليكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابةَ ومقدماَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد،،،

فهذا كتاب آخر جديد، من تأليف تلميذي النجيب الدكتور عطية سليمان، وهو يرى في كتابه هذا أن اللغة لا يصح أن تدرس على أنها أداة عقلية فحسب؛ لأن الإنسان كما يتكلم ليصوغ أفكاره، فإنه يتكلم ليؤثر، وليعبر عن إحساسه وشعوره وعواطفه، فهو يعبر باللغة عن نفسه، كما يعبر عن آرائه .

بل إنه يمكن القول بأن التعبير عن أية فكرة؛ لا يخلو مطلقاً من لون عاطفي، فإننا لا نستطيع أن نقرأ دون أن نحس بقشعريرة تسري في أجسامنا، خبر جريمة عادية وقعت أمام منزلنا، وإننا مثلا حين ننطق بجملة مثل: " خالد يضرب عليا " نحس في أنفسنا بعواطف مختلفة من الخنق، أو الشماتة، أو التهديد، أو الغضب، أو الرضا، أو التشجيع، أو القبول، أو الدهشة، وذلك تبعاً لما إذا كان خالد وعلي ابنيّ، أو طفلين غريبين عنا وتبعا لسنهما وقوتهما وتبعا لميولنا واتجاهاتنا، وتبعا لظروف أخرى كثيرة يمكن تصورها بسهولة .

وقد أجاب الدكتور عطية عن السؤال: ما خصائص اللغة الانفعالية؟ وتحدث بعد ذلك عن المراد بالانفعال، وتعبير اللغة عن هذا الانفعال. كما وضح العلاقة بين الإبداع والانفعال، والضرورة الشعرية والانفعال، وفي هذا الميدان أجاب عن السؤال: هل للشاعر الحق في الخطأ في اللغة بحجة الضرورة الشعرية .

ولم ينس الدكتور عطية أن يطبق ما كتبه في هذا الجزء النظري على لغة الشعراء، وذلك من خلال مسودات لشعراء كتبوا فيها شعرهم للوهلة الأولي في أثناء الانفعال .

وقد أبدع الدكتور عطية في بحثه هذا أيما إبداع، وأثبت تفوقه في مجال العلاقة بين اللغة وغيرها من العلوم، ولا أملك في النهاية إلا الدعاء الخالص له بدوام التوفيق والصحة والسعادة .

والله الموفق للصواب.

الأستاذ الدكتور

مقدمة

اللغة بكل ما تحويه هذه الكلمة من رموز وإشارات؛ هي في عقول البشر على اختلافهم حدث كبير يدفع الباحثين فيها – على اختلاف عصورهم وأوطانهم وتخصصاتهم – إلى الدخول في أغوارها، لمعرفة ما وراء كل لفظة منطوقة أو مكتوبة من دوافع أوجدتها ومواقف ألجأت الإنسان إليها؛ فاستخدمها في حواراته وكتاباته، فعبر بها عن كل ما في نفسه، ودائماً تقف خلف هذه الكلمة دوافع مختلفة تجعله ينطق بهذه دون غيرها، ويسكت عن تلك .

إن هذه العملية – الاختيار بين الألفاظ – تتم في منقطة معينة هي عقل الإنسان، ويشترك في هذا العمل علمان من العلوم الإنسانية هما: علم النفس وعلم اللغة، علم يبحث في التفكير الإنساني، وعلم يبحث في اللغة التي ينطق بها الإنسان وأنسب الألفاظ للتعبير عن ذلك التفكير .

فخلف عملية الكلام تقف عمليات عقلية كثيرة، منها الدوافع والتفكير والتذكر والتعلم وغيرها من العمليات العقلية، وهنا يبدأ عمل (علم النفس) الذي يدرس تلك العمليات العقلية ودوافعها لاختيار تلك الألفاظ دون غيرها، يعاونه في ذلك علم الأعصاب الذي يقوم بالتنفيذ الكامل لتلك العمليات العقلية منذ بدايتها من مجرد مثير داخلي أو خارجي تدركه الحواس؛ فتنقله خلاياها العصبية إلى مركز العمليات العقلية في الدماغ (المخ) إلى أن يتحول إلى سلوك هو استجابة لتلك الدوافع التي أوجدته.

وبعد تلك العمليات العقلية تبدو على السطح كلمات وجمل وعبارات يستمع إليها الشخص الآخر، ويقوم بفهمها وإجراء عمليات عقلية مماثلة للرد عليها بعد استقبالها، وهنا يبدأ دور عالم اللغة الذي يقوم بدراسة وتحليل تلك الكلمة والجمل والعبارات، ولأجل هذا الالتقاء بين العلمين (رأى علماء علم اللغة أن دراسة لغوية لا تقوم على الدراسة اللغوية النفسية الكامنة وراءها هي دراسة ناقصة، كما أن الدراسة النفسية يجب أن تستعين أيضا بمعطيات علم اللغة، ومن هنا كانت ضرورة التقاء العلمين) [1] .

وقد لاحظتُ اختلافاً كبيراً بين لغة الإنسان في حياته العادية، ولغة هذا الإنسان في لحظة انفعاله، ولهذا حاولت دراسة لغة الإنسان أثناء انفعاله للإجابة عن هذا السؤال: ما خصائص اللغة الانفعالية ؟ وكيف عبر القرآن الكريم عنها؟

وقد قسمت هذا البحث على أبواب:

الباب الأول: ما الانفعال ؟

الفصل الأول: تناولت فيه الحديث عن الانفعال، الفصل الثاني: في اللغة والتعبير عن الانفعال، الفصل الثالث: الإبداع والانفعال. الفصل الرابع: الضرورة الشعرية والانفعال.

الباب الثاني: في التعبير القرآني عن الانفعال

الفصل الأول: انفعال الخوف، الفصل الثاني: انفعال الغضب، الفصل الثالث: خصائص اللغة الانفعالية في التعبير القرآني.

الباب الثالث: " كيف يعبر الشاعر عن انفعاله ".

وهو دراسة نفسية لغوية لصراع الشاعر بين لغته وانفعاله.وأيهما ينتصر؟

وخاتمة: جمعت فيها ما انتهيت إليه من نتائج ذلك التحليل وتلك الدراسة.

وبعد،،،

أرجو أن أكون قد أوضحت ظاهرة لغوية يمر بها الإنسان بل يعيشها عند انفعاله، وما ينتابه من تغيرات لغوية نتيجة للتغيرات الفسيولوجية التي أثارها هذا الانفعال فيه، وأحاول إظهار مدى دقة التعبير القرآني في

---

(1) أصول تراثية في علم اللغة، 104 .

تصويره ـ باللغة فقط ـ كل ما بنصه الكريم من الانفعالات مختلفة، لأفراد كثر.

وفي نهاية هذا العمل أتقدم بالشكر لكل من كانت له يد في هذا العمل، وأخص أستاذي الدكتور رمضان عبد التواب الذي علم ووجه حتى صار البحث في صورته هذه، وأخي الحبيب الأستاذ الدكتور حسام البهنساوي الذي كانت له أيد في هذا العمل منذ البداية، واسأل الله أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتنا عنده، والحمد لله رب العالمين ..

أ. د. عطية سليمان

في علم اللغة النفسي

تمهيد:

ظهرت في الآفاق نتيجة التطور العلمي أسئلةُ لغوية متعلقة بأسباب نفسية وعصبية؛ فبدأ البحث لها عن حل؛ فلم يجب عنها علم اللغة . واتجه البحث إلي جهات أخري للإجابة عليها، وإيجاد تفسير علمي لها، مما أدي إلي ظهور علم جديد يربط بين علم اللغة وعلم النفس وعلم الأعصاب؛ فعلي الرغم من أن هذه العلوم لها مجالاتها واختصاصاتها التي ارتبطت بها تقوم علي دراستها؛ إلا إنها تبقي نقاط التقاء بينهم، فاللغة تعبر عن ما في النفس؛ والنفس تموج بصراعاتها الداخلية، وتقوم الأجهزة العصبية بنقل تلك الانفعالات إلي المخ الذي يفسرها، ثم تأتي اللغة لتعبر عنها، لذا كانت الحاجة إلي دراسة نقاط الالتقاء بين هذه العلوم، هي **(العلوم البينية)** فظهر علم اللغة النفسي.العصبي الذي يصل بينهم.

علم النفس:

يُعني بدراسة العقل وهو منهج أكاديمي وتطبيقي يشمل الدراسة العلمية لوظائف العقل البشري وسلوك الإنسان، ويدرس علماء النفس العديد من الظواهر، مثل الإدراك والمعرفة و الانفعال والشخصية والسلوك وغيرها، حاول علماء النفس دراسة الدور الذي تلعبه الوظائف العقلية في كل من سلوك الفرد والمجتمع، وفي الوقت نفسه استكشاف العمليات الفسيولوجية والعصبية الخفية التي تحدث قبل النطق بالكلام.

علم اللغة النفسي فرع من " علم اللغة التطبيقي":

يعد علم اللغة النفسي من منظور علماء اللغة فرعا من فروع **علم اللغة التطبيقي**، ومن منظور علماء النفس فرعا من علم النفس المعرفي، حيث إنه يبحث في العمليات الذهنية للبشر، ويفحص المعرفة اللغوية المطلوبة لاستخدام اللغة، ويمكن القول بأن علم اللغة النفسي علم بيني يتكامل فيه علم اللغة وعلم النفس. ويتميز علم اللغة النفسي بأنه يتناول اللغة من خلال علم النفس، أي أنه يُعنى باللغة كظاهرة نفسية عند المتكلم والسامع على السواء؛

فيصوغ المتكلم أفكاره في عبارات تخرج في صورة الكلام المنطوق، فيدركها السامع ويفهمها، كما يتميز بأنه يرصد العمليات الذهنية عند اكتساب اللغة أو عند استخدامها، وعلاقة ذلك بالفكر والثقافة؛ فيعني مثلاً بدراسة العمليات التي يقوم العقل البشري من خلالها بربط الصيغة (مسموعة أو مكتوبة) بالمعنى من خلال وسيط وهو نظام اللغة.

العمليات العقلية التي يقوم بها علم اللغة النفسي:

إن علم اللغة النفسي ما هو إلا دراسة للجوانب النفسية المتعلقة باللغة والنشاطات الذهنية المرتبطة بالاستخدام اللغوي، ويعرف أيضا بأنه علم دراسة اللغة والعقل، أو تخزين واستيعاب واستعمال اللغة واكتسابها بأية وسيلة لهذا يتناول علم اللغة النفسي كفرع من فروع العلوم المعرفية قضيتين هما:

أ ـ ما هي المعرفة باللغة التي يحتاجها المرء لكي يستخدم اللغة، هناك أربعة مجالات للمعرفة اللغوية يمكن استنتاجها من السلوك: الدلالة وتتناول معنى الجمل والكلمات/ التركيب ويتناول الترتيب النحوي للكلمات في داخل الجملة / الفونولوجيا وتتناول الأصوات في اللغة / البرجماتية وتتناول القواعد الاجتماعية المتضمنة في استخدام اللغة.

ب ـ ما العمليات الذهنية المتضمنة في الاستخدام العادي للغة، و هو يعني أمورا مثل فهم المحاضرة، وقراءة الكتاب، إجراء محادثة. بينما تعني العمليات المعرفية عمليات الإدراك الحسي. التذكر. التفكير.

العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس:

من الناحية النفسية تعتبر اللغة إحدى مظاهر السلوك الإنساني، واللغة ترتبط بالإنسان إلي حد كبير وتميزه عن سائر المخلوقات، وعلم النفس يختص بدراسة السلوك الإنساني، ودراسة السلوك اللغوي يمثل أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس، ومن حيث المنهج هناك فرق جوهري بين المنهج الذي يستخدمه علماء اللغة وعلماء النفس تجاه الظواهر اللغوية.

مجالات البحث العلمي في علم اللغة النفسي:

يدرس علم اللغة النفسي عدة قضايا تدل علي التفاعل الكائن بين اللغة والنفس:

1ـ اكتساب اللغة: الكيفية التي يكتسب الطفل بموجبها المهارات اللغوية.

2ــ الفهم والإدراك: الكيفية التي يقوم بموجبها السامع أو القارئ بالتوصل إلي تفسير لغوي للإشارات السمعية أو المرئية.

3ــ الإنتاج: الكيفية التي يتم بموجبها تحويل المعلومات التي ينوي الشخص نقلها إلي موجات سمعية أو حروف مكتوبة.

4ـ الاضطرابات: الأسباب التي تؤدي إلي حصول اضطرابات مؤقتة أو دائمة في القدرة الكلامية أو أنظمة توليد اللغة.

5- اللغة والفكر: ما الدور الذي تؤديه اللغة في بلورة الفكر وما أثر اللغات المختلفة علي نمط تفكيرنا.

6ـ الإدراك العصبي: الكيفية التي يجري بموجبها الإدراكي للغة والمعالجة اللغوية داخل الدماغ البشري ،أي طبيعة البناء المخي الوظيفي لمقدرتنا اللغوية.

هدف الدراسة :

ويعد المجال الرابع من المجالات السابقة؛ هو قضيتنا في هذا البحث، وهو الاضطرابات التي تحدث للمتكلم أثناء كلامه عند انفعاله، وكيف يؤثر ذلك علي إنتاجه اللغة ؟ فعلي ذلك المجال تنصب دراستنا للغة الانفعالية؛ كلغة ذات طابع خاص تصدر عن المتكلم العادي ولكن في ظروف خاصة؛ وهي حالة كونه منفعلاً، هل ستكون كلغته وهو يحتسي الشاي مع أسرته، أو واقفاً بين طلابه في المحاضرة ؟! إنها شيء آخر جدير بالدراسة، حيث يختلف الناس في ذلك بين صارخ بأعلى صوته، وبين صامت في ذهول، وبين باك لا يدري لماذا يبكي، وبين متمتم بكلمات غير مفهومة، ولكنه لازال يتكلم باستمرار لا يسكته شيء قط.

الباب الأول

الانفعال

الفصل الأول : ما الانفعال؟

الفصل الثاني : اللغة والتعبير عن الانفعال .

الفصل الثالث : الإبداع والانفعال .

الفصل الرابع : الضرورة الشعرية والانفعال .

الفصل الأول
ما الانفعال ؟

1- تعريف الانفعال:

اختلفت التعريفات التي تناولت موضوع الانفعال؛ وذلك لاختلاف مناحي البحث ومناهجه، وكان من الضروري في إطار هذه الدراسة التعرض لبعضها كي نحصل علي الفائدة التي تخدم دراستنا ، فمن هذه التعريفات تعريف:

أ - مجمع اللغة العربية:

" انفعال emotin حالة وجدانية تصاحبها أنشطة غدية وحركية"... انفعالية emotinality خاصية للشخص الذي يستجيب بسرعة وقوة للمواقف الانفعالية [1] " هذا التعريف يصف الانفعال بأنه شعور يصحبه إفراز للغدد تدل علي حدوثه.

ب - جيروم كاجان:

يرى جيروم أن الانفعال حالة عقلية تمر بالفرد، ولذلك يجب فصلها عن الشعور الذي رأيناه في التعريف السابق، يقول "تأكدت لي أهمية الاعتماد علي الحالات العقلية بوصفها تعريفات للانفعالات أكثر من الاعتماد علي المشاعر الواعية أو علي تقييم هذه المشاعر، فقد بدأ الاتجاه ناحية العمليات العقلية التي تحدث في المخ؛ والتي يمكن تصويرها كتفسير للانفعال؛ لأن هذا يعد نقطة تحول في البحث العلمي في هذا المجال بما أتاحه للدارسين من تسجيل أنماط نشاط المخ؛ مما حفزهم علي معالجة تلك الصور المخية علي اعتبارها انفعالا، وذلك لأن هذا الافتراض يعطي تعليلا منطقيا لدراسة الانفعالات عند الحيوانات،... ويمثل هذا الرأي تغيرا حادا في تعريفات الانفعال... لأن الحيوانات لا تُقدِّر حالاتها البدنية/ أو الجسدية... إن تغيير الحالة العقلية لا يؤدي دائما إلي إحداث شعور ما أو فعل ما، وعندما يحدث

(1) معجم علم النفس والتربية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1984، ج/1، ص52،53.

ذلك، فإنه من الممكن التحقق من أي شعور من هذه المشاعر المتعددة، أو أي سلوك من السلوكيات المختلفة" [1].

هذا التعريف يبين قضية التحول الحادث في دراسة الانفعال في ضوء التطور العلمي، فلم يعد الأمر قضية تكهن أو استنباط لفهم حقيقة الانفعال، بل إن الأمر يقوم علي تحليل علمي لصور النشاط الحادث في المخ نتيجة انفعال ما، فأصبح لدينا دليل مادي علي حدوث انفعال ما داخل عقل هذا الفرد؛ يمكن تصويره وتحليله بعد إجراء تجارب مشابهة علي الحيوانات التي ثبت وجود هذا الأمر (الانفعال) لديهم، وذلك بحقنهم بمحاليل كيميائية تبين حركة الدم داخل المخ أثناء الانفعال، لذا فالحالة العقلية يمكن دراستها وتحليلها، حتى ولو لم ينتج عنها شعور ما؛ من خلال تحليل صور نشاط المخ، فكل ما يمر علي الفرد من أحداث مختلفة؛ ولو كانت بسيطة ينتج عنها عمليات عقلية تؤدي إلي إحداث نشاط بالمخ، فيعد هذا انفعالا، لذا اعتبارنا الحالات العقلية، ونشاط المخ انفعالا.

ج ـ تعريفات معاصرة للانفعال:

ذكر جيروم تعريفات أخري للانفعال، يقول: "قدم علماء الاجتماع تعريفات مختلفة للانفعال، فجورج ماندلر عرف الانفعال بأنه تفسير للتغير في مستوى الاستثارة ويسمي ليزا بارت L.Barrett التفسير لمثل هذه الحالة البيولوجية جوهر الوجدان. وقام أنطونيو داماسيو A. Damasio و هو يكتب من منظور الفكري لعالم الأعصاب [2]، قام بتعريف الانفعالات بأنها مجموعة معقدة من الاستجابات الكيميائية والعصبية والتي لها نوع ما من الدور التنظيمي الذي تقوم به. ويتيح هذا التعريف الواعد لأي لحظة تقريبا لأن تكون مناسبة لحدوث انفعال ما. وأن قرار داماسيو بالتعامل مع حالة المخ باعتبارها انفعالا ليس أمرا مجمعا عليه...ويريد بعض علماء الاجتماع أن يحصروا الانفعالات في الحالات التي لها وظيفة ما نافعة، كأن تساهم في البقاء علي قيد الحياة أو في الوصول إلي توافق أفضل... وير غب جوزيف كامبوس... في تحديد مفهوم الانفعال علي تلك الحالات التي تغير العلاقات بين الفرد والظروف المحيطة به فيما يتصل بالأمور التي لها أهمية شخصية. وهو رأي يشترك معهم فيه رتشارد لازاروس، وقد حصر رولز الانفعالات في تلك الحالات التي تسببها الأحداث التي تقوم بدور المكافآت أو العقاب[3] ".

وهناك تعريفات أخرى للعلماء علي اختلاف تخصصاتهم. منهم من عرف الانفعال: "أنه حالة من اللا توازن العضوية، والمنبهات الخارجية

---

(1) ما الانفعال؟، جيروم كاجان، تر/ منال زكريا حسين، المركز القومي للترجمة، 2012، ص10.

(2) بين هذا القول دور علم الأعصاب في عملية الانفعال وتعد هذه أول مرة يشار إلي دور علم الأعصاب.

(3) ما الانفعال؟ 59 – 60.

التـي تفـد شـكل مفـاجئ فـي صـورة وقتيـة زائلـة، وتكـون مصـحوبة باضطرابات جسدية خارجية وحشوية" [1].

د ـ تعريف غي تيبرغيان :

الانفعال Emotion: "مفهوم عام يستخدم لتوصيف الحالات المعرفية الخاصة التي تتضمن في ما تتضمنه الخوف والغضب والفرح والحزن والاشمئزاز والدهشة ... لا يوجد حتى الآن تعريف بطبيعة الانفعالات حظي بإجماع ، ولا نظرية سائدة تشرح وظائفها. وتعود هذه الصعوبة جزئياً إلى أن التجربة الانفعالية هي ظاهرة معقدة تتضمن علي الأقل ثلاثة مجالات : المجال الفيزيولوجي، والمجال الجسدي والمجال العاطفي"[2].

هـ ـتعريف مختصر للانفعال:

"الانفعال عملية طبيعية. إنه شيء يحدث كما تحدث العاصفة أو شروق الشمس ... إن بعض السيكولوجيين والفسيولوجيين يستخدمون كلمة انفعال ليدلوا علي نماذج انعكاسية معينة للاستجابة مثل ثورة الغضب والصياح والضحك الخ؛ تتصل بالمراكز العصبية الـ hypothalamus وتحتها. وآخرون يفضلون تعريفا أوسع وهو أن الانفعال اضطراب حاد في الفرد ناشئ عن موقف سيكولوجي ويظهر في خبرة شعورية وفي السلوك وخلال تغيرات مميزة في الأعضاء الحشوية[3] "ويعرفه ودورث" أنه حالة شعورية ثائرة تعتري الحيوان، فالثورة الشعورية أو الوجدان الثائر هو أخص مميزات الانفعال" [4].

هذه الأقوال في تعريف الانفعال تبين الاتجاهات المتنوعة في النظر إلى تلك القضية، وتعدد الآراء حولها؛ بما يفهم منه مدى اتساعها وتشعب جوانبها واتصالها بكيانات متعددة داخل البناء العام للإنسان وخارجه.

2ـ الجانب النفسي في الانفعال:

"ورغم أن كل انفعال إنما ينشأ من نشاط بالمخ، فإن أي انفعال يعد ـ أولا وقبل كل شيء ـ ظاهرة نفسية تحكم حالة عقلية، ذلك لأن كل صورة عقلية يمكن أن تؤدي إلي شكل معين من الانفعالات، فأي انفعال يظهر يتوقف دائما علي تاريخ الشخص وحالته البيولوجية، وإن فهم الكيفية التي بها يقوم تاريخ الشخص وحالته البيولوجية باختيار حالة شعورية واحدة من بين حالات كثيرة، إن هذا الفهم يتصف بقدر من الغموض"[5].

---

(1) مقدمة في علم النفس، 230.

(2) قاموس العلوم المعرفية: غي تيبرغيان، تر/جمال شحيذ، المنظمة العربية للترجمة، ط1 ، بيروت2013، ص196.

(3) مناهج البحث في علم النفس: مجموعة من علماء النفس بإشراف ت ج: أندروز ، دار المعارف، ط2، 1968ج/ 526.

(4) علم النفس التربوي، حامد عبد القادر ومحمد عطية الإبراشي، ومحمد مظهر سعيد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط4، 1966م، ج/ 3، 155.

(5) ما الانفعال ؟: 16.

هنا تبدو العملية التالية للانفعال ـ في رأي جيروم ـ بعد حدوث ذلك النشاط بالمخ ـ هي قيام عملية عقلية متصلة بنفسية المتكلم في التحكم في ذلك النشاط الحادث في المخ وتحديد نوعه؛ نتيجة للحالة العقلية التي يعيشها هذا الشخص، فيؤثر فيها تاريخ الشخص المنفعل وحالته البيولوجية، ثم يترجم هذا إلي حالة شعورية معينة من بين حالات الشعور المختلفة. "وقد ذهب ريذيه ديكارت إلي أن جميع الانفعالات البشرية يمكن اشتقاقها من العواطف الخمس الأساسية وهي السرور والحزن والحب والبغض والرغبة"[1] فتبدو علي السطح حالة شعورية محددة يعيشها الشخص المنفعل الآن دون غيرها، قد تكون حالة حب أو بغض أو غيرها؛ نتيجة ذلك الانفعال وتأثيره علي مخ المنفعل، في إطار العمليات التفاعلية التي تتم في داخل مخه.

3- تطور مفهوم الانفعال (ارتباط الانفعال بالمخ):

أ ـ المفهوم القديم للانفعال:

"إن التعريفات القديمة للانفعال كانت تنظر إلي الانفعالات علي أساس أنها تغيرات عن حالات شعورية يدركها الوعي وتسمي بكلمات مألوفة، وقد تعرض هذا الإجماع علي هذا التعريف ـ الذي استمر قرابة ألفين من السنين ـ للتحدي والاعتراض عندما أدت القدرة علي قياس نشاط المخ لبعض العلماء إلي أن يدعوا بأن صورة المخ والتي يتسبب في إحداثها حافز ما تمثل حالة انفعالية، حتى لو أخفق الفاعل (أي الفرد) في الكشف عن أية نتائج لهذه الاستجابة البيولوجية، ولم يصدر عنه أي تعبير ولم يبد أي تغيير في سلوكه، فالوعي لديه القدرة علي أن يصبح انفعالا؛ ولكنه لم يصل بعد إلي كونه حالة انفعالية[2].

ب ـ المفهوم الجديد للانفعال:

إن التطور العلمي في مجال قياس نشاط المخ؛ جعل العلماء غيرون مفهومهم عن الانفعال؛ فأصبحت الصورة التي تؤخذ لنشاط المخ نتيجة حافز ما هي ما يمثل حقيقة الانفعال، فأي انفعال يأتي نتيجة حافز ما ينتهي به المطاف إلي المخ الذي هو مركز كل عمليات التفكير؛ فينشط ويظهر نشاطه بالقياس، حتى وإن لم يع الفرد ما يحدث بداخل مخه من نشاط؛ لأنه لم يصل إلي كونه حالة انفعالية.

ج ـ مراحل عملية الانفعال:

وبعد ذلك يتم تحول هذا النشاط المخي إلي رد فعل علي ذلك الحافز في شكل سلوك ما يقوم به الفرد ويعبر به عن انفعاله. ويشرح جيروم كيف تتم عملية التواصل هذه ودور المخ فيها بقوله "إن هذا التيار المتدفق من

(1) ما الانفعال ؟، 11.

(2) ما الانفعال ؟، 22.

العمليات، بدء بالحافز ثم الصورة العقلية ثم الشعور ثم التقدير يشبه لعبة الأسئلة الاثنى عشرة. فبمجرد أن يعرف اللاعب أن الشيء السري هو حيوان، وليس نباتا أو معدنا، فسيظل ملزما بأن يستبعد عددا كبيرا جدا من البدائل، قبل أن يتوصل بالاستنباط - في النهاية - إلي الإجابة الصحيحة، وبالمثل يوجد تيار متدفق من المراحل داخل الإدراك الحسي لشيء يشعر به الشخص، كأن يكون هذا الشيء كوبا، ففي أثناء المرحلة الأولى لهذا الإدراك الحسي والتي تحدث في اللحاء البصري يتم تبين الاتجاهات التي تشير إليها الخطوط الخارجية للكوب ومعادلات تكرارها المكانية. إذ لا يوجد في هذه المرحلة الأولية تمثيل للكوب، كما أن قياس للنشاط العصبي في هذه المنطقة من المخ يقوم به الباحث لن يتيح له أن يستنبط أن هذا الشخص يحدق في كوب ما[1] ".

د - فرق بين نشاط المخ والانفعال:

" إن كل تغير في الحالة العقلية يجعلها تصل إلي مرحلة الدافع الذي قد يؤدي إلي إحداث انفعال ما، لا ينتج شعورا أو انفعالا،... إن المقدار الضخم لتغيرات المخ التي تحدث لدى كل شخص يوميا لها عدد قليل من الدلالات، أو ليس لها دلالة تربطها بحالة ما من الحالات النفسية المتغيرة. فحالة المخ تشبه ما لا يشعر به أحد من حركات جزيئات الهواء التي تلف وتدور حول الوجه باستمرار" [2] فالمخ يحدث به نشاط مستمر؛ ولكن ما يتحول منه إلي انفعال قليل.

إن التطور في مفهوم الانفعال ينطلق من التطور في آليات الدراسة والتحليل التي بينت قصور الدراسات السابقة، بداية من التطور في دراسة الإدراك كمثير أو حافز للانفعال انتهاءً بحدوث الانفعال، ذلك بفضل عمليات قياس نشاط المخ.

4- هل يوجد انفعال دون معرفية ؟

"لمدة طويلة اعتبر الانفعال والمعرفة كمجالين منفصلين. المسألة الأكثر نقاشا كانت أن نعرف ما إذا كانت الآليات الانفعالية سبقت أو أعقبت المعالجات المعرفية...إن الانفعال ينتج من التغيرات الفيزيولوجية (العميقة) الناجمة مباشرة عن الإحساس ببيئة لطيفة أو كريهة. على العكس من ذلك، رأى كانون Canon أن التفسير المعرفي ، على مستوى قشرة الدماغ؛ هو الذي يخلق الانفعالات؛ وتنطلق ردود الأفعال العميقة وتقاطيع الوجه المحركة للانفعالات (لا سيما الجبهة منها) بشكل شبه متأن من الانبثاق المركزي للانفعالات" [3].

---

(1) ما الانفعال ؟، 22.

(2) المرجع السابق، 25.

(3) قاموس العلوم المعرفية، ص196.

إن عملية الانفعال تتم عند (غي) من خلال عملية إدراك أو إحساس بمثير ما من البيئة المحيطة بالفرد. ولكن كانون يربطها بالتفسير المعرفي علي مستوى قشرة الدماغ، حيث ينشأ فيه الانفعال، فيقوم هذا الجزء من الدماغ (قشرة الدماغ) بمعالجة هذه المعلومة الناتجة عن عملية الإدراك ؛ ثم تليها عملية رد الفعل القادمة من الانبثاق المركزي للانفعالات المتمثلة في تقطيب الوجه وغيرها.

5- ما تسلسل عملية الانفعال ؟

حسب رأى كانون فإن تسلسل الانفعال يتم علي النحو التالي:

1- رؤية خطر (أسد متوحش):

2- تنبيه الثلاموس

3- يقوم الثلاموس بتنبيه القشرة المخية CORTEX

4- كذلك يقوم بتنبيه الهيبوثلاموس لاتخاذ إجراءاته

5– القشرة المخية CORTEX تقوم بإدراك الخطر والشعور بضرورة التأهب.

6- الهيبوثلاموس: تنبيه الغدة النخامية وإفراز الادرينالين الذي يؤدي إلى إثارة الجهاز السمبتاوي، زيادة السكر بالدم، اتساع حجم الرئة، توقف الهضم، ارتفاع ضغط الدم، زيادة سرعة تخثر الدم، زيادة ضربات القلب[1].

ويرى د. كمال الدسوقي أن التنبيه هو أساس الانفعال، بل هو مرحلة وسطي بين التنبيه والسلوك فيقول "التنبيه يجعل الكائن "ينفعل" بالموقف، أي يخلق فيه حالة من الإثارة state of agitation واختلالاً في التوازن، ورد فعل شديد للتنبيه. قد يكون رد الفعل هذا انفعال الغضب أو انفعال الخوف أو انفعال الحزن أو انفعال السرور ... مما يظهر للآخرين في شكل تغيرات للسلوك – كالصراخ أو البكاء أو الضحك أو الصياح أو الهرب أو الشجار... معنى هذا أن الانفعال يتصل بالشعور بقدر ما يتصل بالسلوك وهو حالة نفسية قبل أن يكون استجابة أو فعلا، ولما كان هو الصلة بين التنبيه والاستجابة ـ معلولا للأول وعلة للثانية ـ فإنه يتصل بالنواح المعرفية الإدراكية في التنبيه، والجوانب الحركية في الاستجابة. له اتصال بالمخ والأعصاب ـ في مراكزها الرئيسية والدنيا ـ وارتباط بعمليات الاستقبال الحسية وعمليات الإرسال الحركية[2]. ولكنه يعد دافعاً لسلوك الفرد، فالانفعالات: "تعتبر ذات أثر قوي في تحريض السلوك وتوجيهه أو إعاقته والتوقف عنه مثلما هي الحالة بالنسبة للدوافع الفيزيولوجية، ثم إنها قد

(1) محاضرات في مدخل علم النفس د. عبد الحميد صفوت إبراهيم، 2015م، القاهرة، ص 83.

(2) علم النفس ودراسة التوافق، 207، 208.

تصاحب السلوك وتجعله جذاباً أو منفراً، فمشاعر الفرحة عند الحصول على علامة كاملة بامتحان هام دافع التحصيل.[1]

إذن فالانفعال **دافع لسلوك** الفرد نحو عمل ما، ولهذا كان "من الصعب أن نفصل الانفعال عن طبيعته الدافعية للسلوك، فالانفعال قوة دافعة في الوقت الذي يصاحب الدوافع ويوجهها، فدافع الجوع كأي دافع في زيادته يزيد من توتر الإنسان فيختل توازنه، وتلك حالة غير سارة قدر الانفعال الذي يصاحبه وفي ضوء المعايير التي في ضوئها تعلم الإنسان كيف يحصل على الطعام وأسلوب تناوله، يكون سبيل إشباع هذا الدافع ... والانفعال مثل العاطفة ذو طبيعة فطرية"[2] ولكنه يختلف عن العاطفة من حيث إنها استعداد انفعالي مركب وتنظيم مكتسب ثابت نسبياً لبعض الانفعالات الموجهة نحو موقف أو موضوع معين لعاطفة الحب بمعناها الواسع ... ويقف قبالة هذا المفهوم للعاطفة أن الانفعال حالة طارئة مؤقتة غير مقيدة نسبياً تنتاب الفرد فترة من الزمن تطول أو تقصر أو تعاوده بين حين وآخر[3] .

يشير د. الدسوقي إلى ارتباط الانفعال بأشياء تصنعه في ضوء علم النفس منها:

أ ـ التنبيه: فالتنبيه أساس الانفعال والذي يثير الفرد لينفعل به.

ب ـ السلوك: السلوك هو رد فعل للانفعال بعد الإثارة والتنبيه.

ج ـ الشعور: هو يرتبط الشعور الذي هو حالة نفسية.

د ـ الدافعية: الانفعال هو الدافع للفرد نحو سلوك ما وهو قوة دافعة.

هـ ـ العاطفة: الانفعال يشبه العاطفة في أنه فطري، ولكنه حالة طارئة.

يصور هذا التسلسل عملية الانفعال، ودور كل عنصر في صناعتها.

6ـ ماذا يحدث للإنسان المنفعل من تغيرات ؟

عندما ينفعل الإنسان يحدث داخله تغيرات فسيولوجية وعصبية تؤدي به إلى سلوك ما "فمهما يحاول المرء إخفاء الجوانب السلوكية أو المظاهر الخارجية لانفعاله ليتصنع الهدوء والثبات (كالدبلوماسي) أو لتجنب الانكشاف والاعتراف (كالمقامر والمتهم بالقتل) فالصب تفضحه عيونه – كما يقول الشاعر [4] إلا أن الانفعال يظهر عليه بشكل ما يكشفه،.منها:

أ ـ تغيرات فسيولوجية:

"عندما تمر العضوية بخبرة الميجانية (أي الخبرة الانفعالية الشديدة) كالخوف أو الغضب تنتابها عدة تغييرات جسمية ينشأ معظمها بفعل نشاط **الجملة العصبية الودية** باعتبار ها تهيأ الجسم لمواجهة المواقف الطارئة،

---

(1) مقدمة في علم النفس، 229 .

(2) البناء النفسي في الإنسان، 15

(3) مقدمة في علم النفس، 231 .

(4) علم النفس ودراسة التوافق، 208 .

وذلك بأن تعمل على زيادة ضغط الدم وسرعة نبضات القلب وقوتها لكي يصل الدم سريعا إلى كافة أطراف الجسم وسرعة التنفس لتزويد مستوي السكر في الدم وسرعة احتراقه للتزويد بالطاقة ... وتحول الدم من المعدة والأمعاء إلي الدماغ والعضلات، ووقوف الشعر سببا يثور قشعريرة [1].
يقول د. كمال الدسوقي: إن تعبيرات الوجه Facial expressions التي تعرض الكتب التقليدية الكثير من صورها تنطق بما يعنيه الإنسان (أو الشمبانزي) من حالة انفعالية وتغيرات جسمية ونفسية، وليس ما يمكن إخفاؤه بالإرادة من هذه الوظائف الجسمية في صورة انفعال قوي غير التنفسي أما بقية التغيرات الجسمية فتظل علامة صادقة على وجود الانفعال. فالانفعالات القوية تحدث تغيرات كثيرة في أعضاء الجسم – وتدلنا هذه التغيرات على أثر الانفعال في تنويع استجابات الشخص، وهو تحت تأثيرها – مما يصبح بالتكرار والتعود نمط استجابة وطابع شخصية، فضربات القلب تزداد قوة وسرعة وضغط الدم يتزايد – فاندفاع الدم Flush الذي تلاحظه على الوجه كعلامة مؤكدة على الانفعال هو نتيجة صعود كمية الدم الموجودة بالأطراف بفعل انقباض شرايين الجذع الكبيرة، ودفعها للدم إلى الخارج تجاه الجلد ... كما تتسع حدقتا العين فالجفنان بشكل غير عادي، وتبرز أو تجحظ Protrude كرتا العين من محجريها. وربما يستقيم واقفاً شعر الرأس، ونحن نعبر عن الخوف الشديد بقولنا: "شعر راسي وقف"، أما إفرازات الغدد فتغيراتها كثيرة: فالغدد اللعابية يكفها الانفعال – حيث يؤدي توقف اللعب لحالة جفاف الحلق أو (نشف الريق) بينما الغدد العرقية الجليدية – على العكس – تفرز كميات متزايدة من العرق (البارد) ... وزيادة إفراز هرمون الأدرينالين كمادة كيماوية ينظمها الكظران (الغدتان فوق الكليتان) عادة في الدم هي التي تترتب عليها معظم الآثار السابقة. فهي التي تجعل القلب يدق أسرع وهي التي تجعل الكبد يصب السكر في الدم لتنشيط العضلات، وهي التي تمنع سيل العصارات الهضمية، وتتسبب في جفاف الحلق، وتزيد قدرة الدم على التجلط to colt بسرعة ... [2].

ب ـ التأثيرات العصبية:

يذكر د. الدسوقي الأثر العصبي للانفعال قائلا: "أننا نجد أن المخ يتحكم في الأعضاء الداخلية عن طريق أحدي مجموعتي الأعصاب المتعاديتين : السمبتاوية التي تحرك الجسم في حالات الشدة أو الطوارئ، والبارسمبتاوية التي تحتفظ له بنظامه في كل وظائفه الحيوية... أما أعصاب الجهاز السمبتاوي الذاتي فهو الحارس الأمين، والمدافع اليقظ الذي يتولى المسئولية

(1) مقدمة في علم النفس، 231، 232 .
(2) علم النفس ودراسة التوافق، 211.

في حالة الطوارئ الحقيقية، إذ يرسل المخ في تلك الظروف غير العادية بدفعات حركية إلي مختلف أعضاء الجسم عن طريقها، فهي تتحكم في حالات أربع رئيسية هي حالات الجهد العنيف أو النشاط المضني حالات استمرار الألم، حالة البرد القرص، عند الخوف أو الغضب الناشئين عن توقع المرء أن يتعرض لواحد مما سبق"[1].

"المخ القديم أو البدائي هو الذي يحكم الأفعال الآلية خصوصا وهو موجود في الحيوان يوجه الأعصاب السمبتاوية للفعل في الحالات الطارئة العادية كالإحساس بالبرد والألم ، فهو مكان التأثير الوجداني أي الشعور باللذة و الألم والارتياح وعدم الارتياح" [2].

إن هذه التغيرات الفسيولوجية والعصبية التي تصاحب الإنسان عند انفعاله تصور مدي تأثير الانفعال على البناء الفسيولوجي و العصبي للفرد، ويكون رد فعل هذا الإنسان تغيرات في طريقة التعبير، فهناك اضطرابات لغوية أيضا إذا اعتبرنا أن الاضطرابات اللغوية فرع من الاضطرابات الجسدية التي تثيرها الاضطرابات النفسية تحت تأثير انفعال معين كالخوف والفرح والغضب .

7- الانفعال والدافعية:

هناك علاقة كبيرة بين الدوافع والانفعالات . فالدوافع تكون مصحوبة عادة بحالة وجدانية انفعالية.فحينما يشتد الدافع ويعاق عن الإشباع فترة من الزمن تحدث في الجسم حالة من التوتر. وتصاحب ذلك عادة حالة وجدانية مكدرة. وإشباع الدافع يكون مصحوبا بحالة وجدانية سارة. ثم إن الانفعال يقوم بتوجيه السلوك مثل الدافع، فانفعال الخوف يدفع الإنسان إلي الهرب من الخطر، وانفعال الغضب يدفعه إلي الدفاع عن النفس، وقد يدفعه إلي العدوان، وانفعال الحب يدفعه إلي التقرب من موضوع حبه"[3].

8- أنواع الانفعالات:

تختلف الانفعالات من حيث القوة والضعف ومن حيث التركيب والبساطة وهي تمثل سلسلة مختلفة الحلقات، تبدأ بالانفعالات البسيطة الجافة الخشنة وتنتهي بالانفعالات المركبة الهادئة الرقيقة،... نختار رأي مكدوجل والأساس الذي بني عليه تقسيمه للانفعالات هو عناصر تكونها من ناحية، وعلاقتها بالغرائز من ناحية أخرى، فالانفعالات علي هذا الأساس ثلاثة أنواع:

أ - انفعالات أولية:

(1) المرجع السابق، 218.
(2) المرجع السابق، 224.
(3) القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، 1993، ص71.

وهي الانفعالات البسيطة الجافة ويمثل الخوف والغضب والاشمئزاز وغيرها من الانفعالات المتصلة بالغرائز... وإنما سميت أولية لأنها تظهر في الإنسان قبل غيرها، ثم تصير مواد تتكون منها الانفعالات الأخرى المركبة...

ب ـ **انفعالات ثانوية:**

وهي الانفعالات المركبة التي يمكن إرجاع كل منها إلي اثنين أو أكثر من الانفعالات الأولية، وسبب ذلك في الغالب إثارة غريزتين أو أكثر.من الغرائز التي لا يعارض بعضها بعضا في وقت واحد. فهذان انفعالان (الغضب والاشمئزاز) متصلان بغريزتين امتزجتا وكونتا حالة انفعالية مركبة، هي حالة الازدراء

ج ـ **انفعالات مشتقة**:

وهي الانفعالات التي نشاهد آثارها ولا نستطيع إدخالها في أحد التنوعين السابقين، ويعرف الانفعال المشتق بأنه لا يظهر عند ظهور غريزة من الغرائز... وإنما يظهر في أثناء سير نزعة من النزعات أو ميل من الميول القوية في طريقه. مثال ذلك: الثقة والأمل والقلق واليأس والقنوط، فهذه انفعالات ثانوية قد يجربها الإنسان متوالية علي هذا الترتيب، في أثناء تأثره بميل من الميول أو رغبة من الرغبات"[1].

9ـ كيف يعبر الإنسان عن انفعاله ؟

إن الأساليب الأساسية في التعبير عن الانفعال فطرية، فالأطفال جميعاً يبكون حين يتألمون أو يحزنون، ثم إنهم يضحكون عندما يكونون سعداء.. اقترح دارون نظرية نشوئية للانفعالات مؤداها أن كثيراً من أساليب التعبير الإنساني عن الانفعالات هي أنماط موروثة وذات قيمة بقائية للفرد، فالتعبير عن التقزز أو الرفض أساسه محاولة العضوية إنفاذ ذاتها من شيء غير سار ابتلع . ثم إن بعض التعابير الوجهية الموافقة لبعض الانفعالات ذات طابع عام بصرف النظر عن البيئة الثقافية التي نشأ فيها الفرد [2].

علي الرغم من أن الكثير من التعابير الوجهية عن الانفعال تبدو فطرية إلا أن كثيراً من التعابير عنها تحدث نتيجة التعلم، حتى التعابير الوجهية نفسها وبعض الحركات يخضع بعضها للتعلم من البيئة، وهكذا ينبسط فوق التعابير الأساسية عن الانفعال والتي تظهر بمظهر العالمية أشكال مبتكرة منها تصبح نوعاً من اللغة الانفعالية المميزة لدى أبناء البيئة الواحدة. إن الممثلين الماهرين يقدرون على نقل أي صورة انفعالية باستخدامهم التعابير الوجيهة ونغمة الصوت والحركات المعروفة لدى المشاهدين حتى أن الناس العاديين يستطيعون نقل مقاصدهم بالمبالغة في التعابير المبتكرة كصك

(1) علم النفس التربوي، ج/3، ص192ـ194.
(2) مقدمة في علم النفس، 244، 245.

الأسنان وشد القبضة تعبيراً عن الغضب وهدل زوايا الفم للظهور بمظهر الحزن، ورفع الحواجب تعبيراً عن الشك أو عدم الموافقة[1] والدهشة كذلك.وقد يصاحب الانفعال بعض الحركات الجسمية سواء كانت حركة يد أو وجه أو رجل أو شفاه؛ لينتج عن ذلك إشارات أو ألفاظ أو رد فعل حركي معين [2].

إذن فالتعبير عن الانفعال يكون بأشكال مختلفة من حركات جسمية، وألفاظ أو صيحات ينطق بها الإنسان تدل علي أنه منفعل، كتعبيرات انفعالية موروثة لدي كل البشر في كل زمان وكل مكان. وهناك تعبيرات عن الانفعال يعبر بها كل جماعة لغوية عن انفعالهم تخصهم هم دون سواهم من البشر؛ لهذا ظهر لدينا مصطلحان جديران بالدراسة هما:

الأول: التعبير الانفعالي:

يشير هذا المصطلح إلي النماذج الموروثة للاستجابة مثل البكاء والابتسام والضحك والغضب والتقزز التي نراها كلها شائعة بين بني البشر في جميع الأنحاء. فهم يعبرون عن انفعالهم بوسائل معروفة متوارثة بينهم، فعندما كتب دارون كتابه "التعبير الانفعالي عند الإنسان والحيوان" كان يهتم بشكل موضوعي صرف بالمظاهر الخارجية للانفعال. ولكنه لم يهتم بماهية ما تعبر عنه تلك المظاهر الخارجية، أي ما إذا كان شعوراً واعياً أو عملية عصبية، أو تنظيما للشخصية"[3] ولكنه أدرك أن هناك وسيلة ما يعبر بها هذا المخلوق عن انفعاله، وهنا تتحول وسائل التعبير عن الانفعال إلي موروث بشري لدي كل البشر يتفقون عليها ويتناقلونها عبر الأجيال، كتعبير عن الانفعال بشكل عام.

الثاني: التعبير الاجتماعي:

يشير هذا المصطلح إلى نماذج فردية مكتسبة للاستجابة تمثل وسائل خاصة بكل مجتمع تختلف أو تتفق مع مجتمعات أخري." فمثلا من عادات مجتمعنا أن نبتسم عند التحية.وهذه الابتسامة متعلمة وتؤدي بنفس الدرجة من الصدق التي تؤديها الكلمات التي تلقي معها. وقد يشبه التعبير الاجتماعي للابتسامة، ظاهريا، نموذج الفعل المنعكس الحقيقي إلي حد كبير. فليس من السهل دائما أن نضع خطا فاصلا بين نموذج الفعل المنعكس الموروث وبين التعبير الاجتماعي المكتسب"[4] فالإنسان يستخدم كل تلك الوسائل في التعبير عن انفعاله التي يعود بعضها إلى أصول موروثة وأخرى مكتسبة من مجتمعه.

---

(1) مقدمة في علم النفس، 246.

(2) البناء النفسي في الإنسان، 150.

(3) مناهج البحث في علم النفس، ج/ 536.

(4) مناهج البحث في علم النفس، ج2/ 536.

ويختلف كل مجتمع في وسيلته الخاصة في التعبير عن الانفعال "وتختلف هذه التعبيرات التقليدية بشكل كبير عما هي عليه في بلادنا (أمريكا) لدرجة أن بعضها لم يكن يفهمها رجل المدينة الغربية. كانوا مثلا يخرجون ألسنتهم كتعبير عن الإعجاب. وكانت عبارة (استدارت عيناها واتسعتا) تعني الغضب عند الصينيين وكذلك تعبير (فدور عينيه وحملق فيه) يمكن أن يعني الغضب فقط عند الصينيين في حين أن مثله يعني عندنا الخوف. وعبارة (هرش أذنيه وخديه) معناها عندنا الحيرة ولكن معناها في القصة الصينية السعادة. وعبارة (فصفق بيديه) كانت تعني غالبا القلق والخيبة" [1] وهي تعني عندنا في العربية الحيرة والضياع والخسارة، وتعني أيضا الموافقة والرضا عن البيع، فصفق بيديه أي وافق علي البيع.

"وقد اكتشف كلينيرج تعبيرات معينة في المسرح والقصة الصينية تصف بلا شك التغيرات الجسمية الانعكاسية الحقيقية للانفعال. فانفعال الخوف على سبيل المثال يصفه الصينيون بقولهم (وارتجف كل امرئ بوجه كلون الطين) أو (فوقف الشعر في كل إنسان وبرزت الحبيبات علي جلد جسمه جميعا أو تصبب العرق البارد علي جسده جميعه وأخذ يرتعد بلا توقف أو فملكهم الخوف إلي حد أن انساب منهم البول والبراز). فمن الواضح إذا أن تمييزا ما يجب أن يخط بين التغيرات الجسمية الموروثة للانفعال بين التغيرات الاجتماعية المكتسبة" [2].

هذا الأمر لا بد أن يوضع في الحسبان، حيث التمييز بين وسائل التعبير عن الانفعال تعني وجود علامات ظاهرة لدي المنفعل تشير إلي انفعاله، يفسر في إطار المورث الثقافي والاجتماعي لهذا الشخص، كي نفهم كم هو منفعل وما نوع هذا الانفعال ، بل إنه يفسر سلوك أكثر الأشخاص المنفعلين

10- التعبير اللغوي عن الانفعال:

أ ـ التعبير بالصيحات البدائية عن الانفعال:

لقد استرعى الانفعال وما يصدره الإنسان من صيحات انتباه الباحثين في نشأة اللغة، فاعتبره بعضهم أساساً لنشأة اللغة الإنسانية، ووضعوا لذلك نظرية سموها (نظرية التنفيس عن النفس)، وتتلخص في أن مرحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلي ذلك من الأحاسيس المختلفة، فهذه الأصوات الساذجة، قد تطورت على مر الزمن، حتى سارت ألفاظاً [3] .

---

(1) مناهج البحث في علم النفس، ج/2537.

(2) المرجع السابق، ج537/2.

(3) المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، الخانجي، 1982، ص 114.

يقول فندريس: "عند هذا السلف البعيد الذي لم يكن مخه صالحاً للتفكير، بدأت اللغة بصفة انفعالية محصنة، ولعلها كانت في الأصل مجرد غناء، ينظم بوزنه حركة المشي أو العمل اليدوي، أو صيحة كصيحة الحيوان، تعبر عن الألم أو الفرح، وتكشف عن خوف أو رغبة في الغذاء. بعد ذلك لعل الصيحة اعتبرت بعد أن زودت بقيمة رمزية كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون، ولعل الإنسان، وقد وجد في متناول يده هذا المسلك المريح، قد استعمله للاتصال ببني جنسه، أو لإثارتهم إلي عمل ما أو لمنعهم منه ... هذا الفرض تبدو عليه مخايل الصدق، وان لم يكن مما يمكن البرهان عليه[1].

لقد تشكك فندريس في نهاية حديثه في أن تكون هذه الصيحات الانفعالية بداية للغة الإنسانية، لأنه لا يملك الدليل عليها. وكذلك قال الدكتور محمود السعران عنها متشككاً في أن تكون أصلاً لنشأة اللغة، يقول: "إننا تحت وطأة الانفعال، تحت وطأة ألم قاس مفاجئ أو فزع غامر مباغت، أو ما شابه ذلك نتفوه دون إرادة منا بأصوات لا يفهمها السامع على أنها دالة على الانفعال نفسه، أي يفهمها على أنها كلام. ولكن هذا التعبير غير الإرادي عن الشعور يختلف أشد الاختلاف عن الطريقة العادية المألوفة لنقل الأفكار، هذه الطريقة هي الكلام. أن النوع الأول غير غريزي، وغير رمزي، إنه فيض أوتوماتي للقوة الانفعالية، إنه جزء من الانفعال نفسه .

ثم إن هذه الأصوات أو الصرخات الغريزية لا توجه إلى أحد، لا يقصد بها أن يسمعها أحد، إنها لا تكون اتصالاً بالغير بأي معنى صحيح من معاني الاتصال، وهي إذا سمعت فإنها تسمع اتفاقاً كما يسمع نباح الكلب... وهي إذا كانت تحمل معنى إلى السامع فما ذلك إلا من قبيل قولنا إن أي صوت أو كل صوت لا بل أي ظاهرة طبيعية على الإطلاق، تحمل معني إلى الذهن المدرك، وهكذا فاعتبار الصرخات غير الإرادية المعبرة عن الألم مثلاً، والتي تمثل بـ OH (أوه) رمزاً كلامياً حقيقياً مساوياً لفكرة مشابهة مثل (إني لفي ألم شديد) ليس إلا من قبيل السماع بتفسير ظهور السحاب بأنه رمز مماثل يؤدي هذه الرسالة أن السماء على وشك أن تمطر[2].

لقد تشكك في هذه النظرية كثير من العلماء لأسباب منها: أنها نظرية ناقصة وغامضة، أما نقصها فلأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردها إلى أصوات، وأما غموضها فلأنها لا تشرح لنا السر في أن تلك الأصوات الساذجة الانفعالية تحولت إلى ألفاظ، أو أصوات مقطعية؛ فلهذين الأمرين انصرف عنها اللغويون [3].

---

(1) اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ود. محمد القصاص، 1950 28 – 39.

(2) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962 م.58 - 59

(3) المدخل إلي علم اللغة، 116

ولكننا مع هذه التشكك في أن تكون تلك الصيحات تفسيراً أو أساساً لنشأة اللغة، إلا أنها ذات قيمة دلالية لدي كل الشعوب، وكل اللغات تحمل رسالة إلى المستمع إنها في الأصل تعبير عن الانفعال أو تنفيس عن النفس نتيجة لما يمر بها من انفعال ما يدركها المستمع (من هنا كان ما يبدو من تشابه بين بعض الصرخات في لغات مختلفة كأنها تنتمي إلى عائلة واحدة، وما يبدو في الوقت نفسه من اختلاف بينها للبصير المدقق، فالتشابه مرجعه إلى أن هذه الصرخات قد قدمتها نماذج أصلية عامة هي الأصوات الغريزية، لا إلى أنها ناتجة عن أساس غريزي عام، والاختلاف الحاصل بين هذه الصرخات في اللغات المختلفة مرده إلى أنها قد تكونت نتيجة للتقاليد اللغوية الخاصة وللأنظمة الصوتية، وللعادات الكلامية لأصحاب كل لغة [1].

والشيء الذي يمكن أن نخرج به من هذا الحوار وتلك الآراء أن الانفعال وما يستتبعه من صيحات شيء أصيل في النفس البشرية موجودة مع أقدم إنسان وجد على ظهر الأرض يعبر بتلك الصيحات عمَّا في نفسه من سرور أو غضب بلغة بسيطة يدركها كل إنسان كأنها تنتمي إلى عائلة واحدة .

ولهذا يجب أن تدرس تلك اللغة الانفعالية أو الصيحات المعبرة عن الانفعال لدى كل شعب على حدة لمعرفة تطورها وتغيرها لتناسب كل شعب وكل بيئة لغوية، ولكن ليس على أنها لغة بمفهومنا بل على أنها جزء من الانفعال، كصدي الصوت الذي هو رد فعل لصوت حدث، أو هو رجع للصوت الأول، وليس صوتاً جديداً، أو كالصوت الذي يصدر من شيء يقع على الأرض، فهو ليس بلغة، ولكنه إشارة صوتية تعبر عن حدث ما .

ب ـ التعبير باللغة الطبيعية عن الانفعال:

هذا فيما يخص تلك الصيحات الناتجة عن الانفعال، ولكن هناك تأثيراً آخر للانفعال على اللغة ليس في صورة صيحات فحسب، بل في شكل تأثير على اللغة العادية كاملة البناء من جمل وكلمات وتراكيب وأصوات ودلالات ذلك التأثير الذي يظهر في لغة ذلك الإنسان المنفعل في شكل اضطرابات في التركيب وتلعثم في الأصوات وخطأ في الدلالات .

وربما كان هذا الإنسان مسيطراً على لغته أثناء انفعاله، فإن هذا التأثير يظهر أيضاً – حتى ولو كانت تلك اللغة صحيحة – في شكل تغيير في النبر والنغم، أو في شكل الجملة وما بها من تأكيدات. وغير ذلك من الملامح التي يمكن أن يدركها الباحث لو قام ببحث ميداني على مجموعة من الناس في أعمار مختلفة وبيئات متعددة ومواقف متباينة حيث يوضع الشخص المراد دراسة تأثير الانفعال عليه في مواقف انفعالية، ربما خرج الباحث

(1) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، 59.

من هذا العمل بوصف لخصائص هذه اللغة الانفعالية وتأثير الانفعال على لغة الإنسان .

إننا نبحث في اللغة المستخدمة للتعبير عن الانفعال في خطين منفصلين:

الأول: أصل ثابت في كل سلوكيات البشر وعاداتهم أثناء الانفعال وهو الصيحات التي تصدر عنهم نتيجة لهذا الانفعال، وهي لازالت موجودة لدي جميع البشر المعاصرين كدليل علي بدائية الانفعال، والأصل القديم له. .

الثاني: هو التأثير الذي يحدثه الانفعال على لغة كل فرد على حدة، وإن حاول بعض الباحثين الربط بينهما، وجعل الثاني تطوراً للأول، فقد جعل بعضهم اللغة كلها تطورا لتلك الصيحات، وقد ذهب فندريس: إلى الاعتقاد بأن اللغة الانفعالية تسبق اللغة العقلية،... وأن الفكرة تخرج من العناصر الانفعالية دون أن تقصيها إقصاءً تاماً، أو أنه يتكون داخل اللغة الفجائية التي هي انفعالية محصنة نواة صلبة تنمو شيئاً فشيئاً كلما ازدادت الأجزاء المحيطة بها صلابة، وهذه اللغة هي المصطلح عليها، أو النحوية وتبقى هذه متداخلة في الأخرى تستمد منها غذاءها باستمرار دون أن تصل إلى إنضابها بأيه حال [1].

ويصف فندريس هذه النظرية بأنها: نشوئية دينامية قبل كل شيء تزعم أنها تفسر أصل النحو، يعني اللغة المنظمة باستقرار العناصر البدائية غير الثابتة التي تكون ما قبل اللغة النحوية [2] .

اللغة النحوية إذن – أي على المستوي العادي – لاحقة عند أصحاب هذه الدراسات على اللغة الانفعالية، التي تغزو الميدان دائماً في البداية، ثم يتحول بعد أن تستقر وتمر عليها يد التقعيد إلى لغة نحوية منضبطة، غير أن النحاة لا يعدمون مسلكاً آخر مخالفاً يتلخص في قدرتهم على تصور العبارة النحوية السابقة، وأن مقابلاتها الانفعالية هي اللاحقة [3].

وتقدم sechehaye دليلاً آخر على أن اللغة الانفعالية أسبق من اللغة النحوية في الوجود، وذلك من خلال ملاحظة لغة الطفل حيث تقول: إن اللغة الانفعالية أسبق في ظهورها عند الطفل من اللغة النحوية، والفكرة تخرج – في بادئ الأمر – واضحة متماسكة مترابطة. وفي هذه الحالة تبدأ اللغة النحوية ذات القواعد المنظمة، في الظهور[4]. بل إن هذا التعبير عن الانفعال لا يتخلى عنه حتى المرضي، فالدكتور مصطفي فهمي يشير في حديثه عن أفيزيا الكلام عن هؤلاء المرضى وانفعالهم قائلاً: وقد يحدث

---

(1) اللغة، 195

(2) اللغة، 195

(3) اللغة، 196

(4) C., Programme , t m e th odoc de Lalihqustique Theorique.

أحياناً عندما يكون المصاب واقعاً تحت تأثير حالة انفعالية عنيفة، أن يتمتم ببعض العبارات غير المألوفة الواضحة قصداً السباب والعدوان [1].

فهذا المريض يعبر عن انفعالاته عن طريق اللغة في صورة غير مألوفة يتمتم بها ليعبر عن انفعاله وعدائه لهذا الشخص أو الشيء، وكذلك الأطفال فإن لغتهم عند الانفعال تختلف عن لغتهم في غير الانفعال، وفي بحث عن النمو اللغوي للطفل (نلاحظ في لغة هؤلاء الأطفال تغيراً كبيراً، عندما ينفعل الطفل فإن كلماته التي ينطق بها عند الغضب تأخذ شكلاً جديداً، فيحذف أحد حروفها، ويعوض عنه بتشديد ما قبله نحو (أضربه > أضَّبه) عندما يكون غاضباً وكلمة (أبلسه > أبسه) عندما يكون غاضباً، ورغم ذلك فهناك رأي عكسه ما أثبتته التجربة، وهو يقول: أن الأسباب الانفعالية تؤدي إلى نمو المفردات ليس فقط من حيث الكم، ولكن من حيث الكيف أيضاً)[2]. ولكن ما ثبت بالدراسة أن الطفل عندما ينفعل تصبح لغته غير سليمة يغلب عليها الارتباك، وعدم الصحة اللغوية بالمقارنة بكلامه العادي، لأنه لا يكون في حالة إدراك تام لما ينطق به، بل تسيطر على تفكيره حالة الغضب، فتتداخل عنده الحروف، والكلمات وتختلط المعاني والدلالات، بل هذا يحدث أيضاً للكبار في حالة انفعالهم [3].

(1) أمراض الكلام: ، د. مصطفي فهمي، مكتبة مصر، بدون تاريخ . 64 .

(2) التربية اللغوية عند الطفل، سيرجيو سبيتو، تر/ فوزي عيسي وعبد الفتاح حسن، دار الفكر العربي، القاهرة 1991، 83

(3) النمو اللغوي عند الطفل، د.عطية سليمان، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط2، 2014م، ص83.

الفصل الثاني
اللغة والتعبير عن الانفعال

1- اللغة ضرورة للتعبير عن الانفعال:

ظهر فيما سبق أن الانفعال متأصل في النفس البشرية، فهو انعكاس لما يصيب الإنسان، فإن اللغة قرينة هذا الانفعال بدائية مع الإنسان الأول؛ أو لغة حية حديثة معاصرة. ولهذا فاللغة: يمكن أن تؤدي وظيفتين رئيسيتين، فقد تكون أداة للتعبير عن الحقائق والقضايا الموضوعية، وفي هذه الحالة يكون هدفها مجرد توصيل الأفكار ونقلها، ولكنها أيضاً ذات وظيفة عاطفية وديناميكية بصفة أساسية. أي أن وظيفتها حينئذ هي التعبير عن العواطف والانفعالات وإثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني، والواقع أن هذين الجانبين موجودان في معظم أساليب الكلام، ولكن بنسب تتفاوت من القضايا المجردة ذات الصبغة المنطقية الخاصة إلى الأصوات التعجبية والصرخات التعبيرية [1].

ويذهب فندريس إلى أنه: لا تكاد توجد جملة – مهما كانت شائعة أو مبتذلة – تخلو من العناصر الانفعالية [2].

يقول د. رمضان عبد التواب: وعلى ذلك فإن اللغة لا يصح أن تدرس على أنها أداة عقلية فحسب؛ لأن الإنسان كما يتكلم ليصوغ أفكاره، فإنه يتكلم ليؤثر في غيره من الناس، وليعبر عن إحساسه وشعوره وعواطفه، فهو يعبر باللغة عن نفسه، كما يعبر عن آرائه، بل إنه يمكن القول بأن التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقاً من لون عاطفي، إلا إذا استثنينا التفكير العلمي أو اللغة العلمية، التي يجب أن تكون معبرة عن الفكرة المحضة، والحقيقة المجردة الخالية من الانفعالات النفسية [3].

فإذا كانت اللغة لا تخلو من الانفعالات النفسية كما أقر هؤلاء العلماء، فإنه يجب دراسة اللغة بكل صورها – باستثناء اللغة العلمية – مكتوبة ومنطوقة، رغم التفاوت بينهما في التعبير عن الانفعال .

---

(1) دور الكلمة في المعني، ستيفن أولمان، تر/ د. كمال بشر، مكتبة الشباب، 1975م، ص92.
(2) اللغة، 183.
(3) المدخل إلى علم اللغة، 140.

لقد درس الانفعال وتأثيره في بناء الجملة علماء النحو في باب التعجب بأساليبه وألفاظه وباب القسم وباب الندبة وغيره من أبواب النحو، فنحن نستخدم – أحياناً – قبل العبارة اللفظية أو نهايتها لفظاً معيناً، قد يكون قسماً أو تعجباً، أو غير ذلك مما نقصد به التأثير الانفعالي في القارئ أو السامع [1].

وكذلك لاحظ علماء البلاغة ما يفعله الأدباء في إنتاجهم الأدبي من تقديم وتأخير وحقيقة ومجاز وغيرها من الوسائل البلاغية لدى الأدباء في سبيل تصوير مشاعرهم وانفعالاتهم، وكذا محاولات النقاد التأكد من صدق تصوير الأديب لمشاعره وانفعالاته فيما عبر عنه في إنتاجه الأدبي، بل إن علماء التفسير الذين تناولوا النص القرآني وما فيه من قصص؛ لاحظ بعضهم وجود الانفعال في عبارات بعض أصحاب هذا القصص القرآني[2].

يقول الدكتور حمدي الفرماوي: "الانفعال مثل العاطفة ذو طبيعة فطرية، فانفعالات الإنسان أو عواطفه تنتظم وتتشكل وتعبر عن نفسها في إطار ما اكتسبه الإنسان من التنشئة الاجتماعية واستثارات البيئة، ويؤثر مستوي نضج الإنسان وكذلك المرحلة العمرية التي يمر بها على أسلوب تعبيره عن انفعالاته وكذلك عواطفه. والانفعال يمثل خبرة شعورية (مدركة) يمر بها الإنسان في موقف ما، وهي تعبر عن الجانب الوجداني، فمثلاً في فرح أو سرور، في لذة أو ألم، في غضب أو هدوء، وهكذا بما يتناسب مع موضوع الانفعال. [3].

وفي النهاية يجب أن نعيد دراسة تلك العلوم بنظرة جديدة، وهي محاولة التعرف على تلك الحالة النفسية وما قاله هؤلاء العلماء فيها إلى جانب معرفة شكل الجملة وخصائص العبارة التي تصور الانفعال، لكي يتضح لنا أن الانفعال يصور الحالة النفسية التي يحياها الفرد في تلك اللحظة، ويعبر عنها بوسائل مختلفة لغوية وغير لغوية .

2- وسائل التعبير عن الانفعال بين اللغة المنطوقة والمكتوبة :

تعبر اللغة بنوعيها منطوقة ومكتوبة عن الانفعال، إلا أن اللغة المكتوبة لا تتأثر بالمواقف العارضة والانفعالات الزائدة والتعبير الشديد من موقف لآخر، أما اللغة المنطوقة فتتأثر بالمنطقة السكنية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تعيش في إطارها [4] .

وكما يرى فندريس أن الفرق الأساسي بين اللغة الإنفعالية واللغة المنطقية ينحصر في تكوين الجملة، وهذا الفرق ينبثق جلياً، عندما نقارن

---

(1) علم النفس اللغوي، د. نوال عطية، ط3، المكتبة الأكاديمية، القاهر، 1994م ، 61.

(2) سنذكر هذا بالتفصيل في باب التعبير القرآني عن الانفعال.

(3) البناء النفسي في الإنسان، د. حمدي الفرماوي، مكتبة زهراء الشرق، 1996، ص150 .

(4) سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة، يناير1990م. العدد 145 الكويت 62.

اللغة المكتوبة باللغة المتكلمة؛ فاللغة المكتوبة واللغة المتكلمة تبتعدان في الفرنسية، إحداهما عن الأخرى إلى حد أنه لا يتكلم إطلاقا كما يكتب، ولا يكتب كما يتكلم إلا نادراً وفي كل حالة هناك اختلاف في ترتيب الكلمات، إلى جانب الاختلاف في المفردات، وذلك لأن الترتيب المنطقي الذي تسلك فيه الكلمات في الجملة المكتوبة ينفصم دائماً في الجملة المتكلمة إن قليلاً وإن كثيراً؛ فمن اللغة المكتوبة مثل هذه الجملة: (يجب المجيء سريعاً) و(أما أنا فلا وقت عندي للتفكير في هذه المسألة) و (هذه الأم تكره طفلها)، ولكنها في اللغة المتكلمة تتخذ صيغة مختلفة كل الاختلاف، فيقال مثلا: (تعال بالعجل!) و (الوقت، إيه دا يا أخي! هو أنا عندي وقت، أنا علشان أفكر في المسالة دي!) و (ابنها ! دي هي بتكرهه، دي أم دي!).

وماذا يمكن أن يقال في جملة اللغة المكتوبة ؟ تلك الجملة المنسقة، بما فيها من جمل تابعة، وحروف وصل، وأسماء موصولة، وكل ما تحتوي عليه من أدوات وأقسام! إننا لا نقول إطلاقاً في اللغة المتكلمة: (بعد أن تخترق الغابة، ونصل إلى بيت الحارس الذي نعرفه، بجداره الذي تكسوه أغصان اللبلاب، سندور إلى اليسار، ونسير حتى نجد مكاناً مناسباً، فنتغذى فيه فوق الأعشاب)، بل يقال (حنخترق الغابة، وبعدين نمشي لحد البيت إنت عارفه ... بيت الحارس ... إنت واخد بالك منه كويس ... البيت ده اللى جداره فارش عليه اللبلاب، وبعدين نحود ع الشمال ونشوف مكان لطيف ... ونتغدي هناك ع الحشيش)[1].

ويؤكد هذا الدكتور رمضان عبد التواب بقوله: العناصر التي تسعى اللغة المكتوبة في أن تسلكها في كل متماسك تبدو في اللغة المتكلمة، منفصلة مقطعة الأوصال، بل إن الترتيب نفسه يختلف فيها عنه في الأولى كل الاختلاف؛ إذ ليس هنا ذلك الترتيب المنطقي، الذي تمليه قواعد النحو، بل ترتيب له منطقه أيضاً، ولكنه منطق انفعالي قبل كل شيء، فيه ترص الأفكار، لا وفقاً للقواعد الموضوعية، التي يفرضها التفكير المتصل، بل وفقا للأهمية الذاتية، التي يخلعها عليه المتكلم، أو التي يريد أن يوحي بها إلى سامعه [2].

ويشير فندريس إلى ضياع النحو في اللغة المنطوقة قائلاً: فكرة الجملة بالمعنى النحوي تتلاشي في لغة الكلام، فإني عندما أقول: الرجل الذي تراه هنالك جالساً على الرمال هو الذي قابلته بالأمس عند المحطة) أراني أستخدم طرائق اللغة المكتوبة، فلا أصوغ غير جملة واحدة، ولكني لو تكلمت لقلت: شايف كويس الراجل ده ... عندك هناك ... قاعد قدامك ع

(1) اللغة لفندريس، 191.

(2) المدخل إلى علم اللغة، 143.

الرمل .. أهو ده ... إن شفته إمبارح ... كان ع المحطة، فكم توجد من الجمل هنا ؟ [1].

ولكن علي الرغم من رأي هؤلاء العلماء الأجلاء فإن اللغة المكتوبة أقل تعبيراً عن الانفعال – ربما لالتزامها بقواعد النحو واستهلاك الفكر في تكوين هذه الجمل وبناء القواعد مما يقلل من وهج الانفعال وتسحب الفكر ناحية البناء اللغوي الصحيح – إلا إن اللغة المكتوبة لا تخلو من وسائل للتعبير عن الانفعال، تقول الدكتورة نوال عطية عن تأثير اللغة المكتوبة كما في لغة الصحافة: والأمثلة في قراءة الصحف اليومية وما فيها من حوادث مؤلمة، يشعر الفرد أثناء قراءتها بانفعالات مقبضة مؤلمة ... لا يمكن بأن نجزم أن اللغة الانفعالية تنفصل تمام الانفصال عن اللغة النحوية المنظمة تنظيماً منطقياً، حيث إنه إذا تتبعنا العبارات اللفظية المختلفة، فإنا نجدها لا تخلو من ألفاظ انفعالية معينة [2]. ويكفي ما ذكره الدكتور رمضان عبد التواب من مثال على ذلك من شعر العجاج حيث قال: ومن أمثلة اللغة الانفعالية في العربية الفصحى قول العجاج الراجز :

حتى إذا جَنَّ الظـــلامُ واختـــــلطْ
جاءوا بمَذْقٍ هل رأيــتَ الذئب قَطْ

إننا هنا لسنا في حاجة لتأويل النحاة، وادعائهم حذف الوصف، وأن الأصل: بمذق مقول فيه: هل رأيت الذئب قط، وأن الجملة الطلبية معمولة لهذا القول المقدر، فما قصد العجاج إلى شيء من هذا ! [3] .

فقد جاءت أبيات العجاج تعبر عن انفعال عجز النحاة عن فهمه فحاولوا إخضاعه لقواعد اللغة المكتوبة، أي قواعد النحو عن طريق التأويل، فقد عبرت اللغة المكتوبة عن انفعال الشاعر، فكما يقول برجستراشر عن لغة الشعر والكلام الخاص بهيجان النفس جنسان: أحدهما يتكون من كثير مما يتكلم به بين الناس في مساعيهم اليومية وتعاطيهم شئون الحياة وخصوصا عند أقوام البلاد الجنوبية والسامية من بينها، فإنا نراها أكثر حدةً وتحركاً من شعوب الشمال، وإذا قرأنا الكتب كدنا أن ننسى حقيقة موقف اللسان في حياة الإنسان، فإن الكتب مملوءة بالكلام الساكن المستوى، والجنس الثاني من الهيجان هو إلهام الشعر، فنرى الشعر يميل إلى مثل ما يميل إليه الكلام الخاص بهيجان النفس، من ترك الربط، واستعمال أشباه الجمل، وغيره [4]

لذا يجب أن ندرس اللغة المكتوبة، كما يجب أن ندرس اللغة المنطوقة، ويحدثنا استفن أولمان عن ملامح تلك اللغة الانفعالية المنطوقة فيقول: تسهم كل جوانب اللغة فيما تحدثه في الكلام من تأثير عاطفي أو انفعالي، فالنبر

---

(1) اللغة لفندريس، 192.
(2) علم النفس اللغوي، 61.
(3) المدخل إلي علم اللغة، 144.
(4) التطور النحوي، برجشتراسر، صححة د. رمضان عبد التواب، القاهرة، الخانجي، 1981م. 83.

والإيقاع والتنغيم، واختيار الكلمات، واللواحق، ونظام ترتيب الكلمات ومواقعها في الجمل، والعبارات؛ هذه الأشياء كلها قد يكون لها نصيب في إحداث هذا التأثير، وهكذا تستطيع الكلمات أن تعبر عن العواطف والانفعالات بفضل المضمون العاطفي الذي تكسبه في بعض المواقف المعينة، وربما يكون المضمون قويا إلى درجة يتسبب عنها اختفاء ذلك القدر الثابت من المعني المنطقي اختفاء تاماً، بل إن هذا القدر يصبح هدفا للسخرية والتسفيه، كما يلاحظ ذلك في بعض الاصطلاحات القابلة للاستغلال السيئ، والتي يطلقها السياسيون على خصومهم ومعارضيهم، ومن أمثلة ذلك الديكتاتورية والرجعية، وعدد آخر من الكلمات التي تنتهي باللاحقة ism ذات الشهرة البغيضة (1) ولكن اللغة المنطوقة أكثر تعبيراً عن الانفعال بما لديها من وسائل؛ لأن الفرد لا يعبر ولا يتكلم ليصوغ أفكاراً فحسب؛ بل إنه في الواقع يتكلم ليؤثر في غيره ويعبر عن انفعالاته إزاء هذا الموضوع أو ذاك. فالعبارات اللفظية إذن ذات قيم انفعالية معينه (2).

فمثلاً: يصرخ الطفل من الألم، تعتبر جمله شحنة انفعالية بالنسبة إلى سامعها أو أرى مثلاً حادثاً يقع أمام عيني في الطريق، وأعبر عن ذلك بقولي: مسكينة أمَّ هذا الولد، فهذه عبارة لفظية ذات شحنة انفعالية معينة، لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تكون عبارة منطقية صرفة تعبر عن أمر ما.إن الجملة الواحدة يمكن أن تتميز بالعديد مِن انفعالات مَن ينطق بها أثناء موقف ما. فالفنان الكوميدي والدرامي الذي نشاهده على خشبة المسرح يستخدم عبارات لفظية متباينة تبعاً لموقف معين حيث إن في كل عبارة تعبيراً معيناً يتصف بنغمة صوتية تختلف عن الأخرى، فنوعية النطق الصوتي يضفي على العبارة نوعاً معيناً من المعنى، يختلف تماماً عما إذا قرأنا نفس تلك العبارة في صحيفة ما. فالأمر إذن ليس مجرد معرفة العبارة، وتحليل عناصرها التركيبية النحوية، وإنما هو الوقوف أولاً وقبل كل شيء على تقدير قيمتها الانفعالية(3) .

في حقيقة الأمر لا يمكن بأية حال من الأحوال أن ننكر الحالة السيكولوجية التي يكون عليها المتكلم أثناء الحديث، والدافع الذي يدفعه للحديث، وما يهدف إليه من هذا الحديث، وتأثير ذلك كله تأثيراً إيجابياً في التراكيب اللغوية التي يتناولها الفرد ويحدد ألفاظها ومضامينها(4). فهذه الانفعالات أو العواطف يمكن بطبيعة الحال التعبير عنها بواسطة التنغيم أو

(1) دور الكلمة في المعني، 92-93 .
(2) علم النفس اللغوي، 60.
(3) علم النفس اللغوي، 60 .
(4) علم النفس اللغوي، 60

تغيير الصوت أو سرعة الحديث أو الشدة التي يركزها المتكلم على هذه الكلمة أو تلك، أو بالإشارة التي تصحب الكلام [1] .

وكما يقول فندريس: فالجملة الواحدة تحتمل عند النطق بها مئات ومئات من وجوه الاختلاف، التي تقابل أشد ألوان العاطفة خفاءً، والفنان الدرامي الذي يقوم بدوره في المسرح عليه أن يجد لكل جمله التعبير اللائق بها والنغمة الحقة التي تناسبها، وذلك أوضح ما يلاحظ على مواهبه، فالجملة التي يقرؤها في صحيفة تعد ميتة خالية من التعبير، ولكنه ينعشها بنطقه، وينفث فيها الحياة [2].

ولهذا يمكن القول: إن اللغة بنوعيها تستخدم وسائل للتعبير عن الانفعال، فاللغة المنطوقة بما فيها من نبر وتنغيم وشدة في الصوت، وسرعة في الكلام تعبر عن الانفعال، أما العبارة المكتوبة فلها تأثيرها أيضاً من تراكيب وتأكيدات داخل الجملة.

3- اللغة والفكر والانفعال:

إن اللغة هي الوعاء أو المظهر الخارجي الذي يتم تقديم الفكر من خلاله فاللغة اللفظية هي أكثر الأدوات شيوعاً في التعبير عن ذات الإنسان، بل أكثرها دقةً وشمولاً كذلك، والعلاقة بين الفكر واللغة ترتبط بالفكر من زاوية الأفكار وزاوية الاتجاهات الفكرية، فالأفكار يتم تثبيتها والتعبير عنها بألفاظ وسياقات ترد فيها تلك الألفاظ، كما يتم التعبير عن الاتجاهات الفكرية بالعبارات اللغوية المختلفة، ولكن أيهما يؤثر في الآخر الفكر أم اللغة ؟

هناك آراء في هذا الأمر مختلفة، حيث ترى أن اللغة أكثر تأثيراً في الفكر وخاصة فكر الجماعات، ورأي آخر يرى أصحابه تغليب جانب الفكر في تأثيره على اللغة، ورأي ثالث يرى أصحابه الاكتفاء بتأكيد الصلة بين الفكر واللغة وعدم الفصل بينهما، وموقف رابع هو الأكثر شيوعاً وقبولاً لدى المعاصرين، ويرى دعاته أن العلاقة متبادلة بين اللغة والفكر من حيث التأثير، فهما يعتمدان الواحد منهما على الآخر أو يتبادلان التأثير أحدهما في الآخر فنحن لا نستطيع التفكير أبعد من قدرتنا اللغوية، كما أننا لا نستطيع أن ننطق بما لا نستطيع التفكير فيه[3]. وهذا الرأي الأخير يمكن الأخذ به؛ لأنه يري أن التأثير بينهما متبادل وأن التفاعل بينهما أمر واقع .

فإذا كانت العلاقة بين اللغة والفكر علاقة متبادلة من التأثير والتأثر، وأن الأفكار بجميع أنواعها تعبر عنها اللغة، فاللغة يمكن أن تؤدي وظيفتين رئيسيتين؛ قد تكون أداة للتعبير عن الحقائق والقضايا الموضوعية، وفي هذه الحالة يكون هدفها مجرد توصيل الأفكار ونقلها، ولكنها قد تكون أيضاً

---

(1) المدخل إلى علم اللغة، 142 .

(2) اللغة، 185 .

(3) نقلا عن مفهوم المعنى، د. عزمي إسلام، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، يناير، 1985م، 18 – 20.

ذات وظيفة عاطفية وديناميكية بصفة أساسية، أي أن وظيفتها حينئذ هي التعبير عن العواطف **والانفعالات** وإثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني... وقد تسهم كل جوانب اللغة فيما تحدثه في الكلام من تأثير عاطفي أو انفعالي، فالنبر والإيقاع والتنغيم واختيار الكلمات واللواحق ونظام ترتيب الكلمات ومواقعها في الجمل والعبارات.

هذه الأشياء كلها قد يكون لها نصيب. في إحداث هذا التأثير، وهكذا تستطيع الكلمات أن تعبر عن العواطف والانفعالات بفضل المضمون العاطفي الذي تكتسبه في بعض المواقف المعينة[1] فاللغة تعبر بكل وسائلها عن كل الأفكار المختلفة العلمية والقضايا العاطفية والانفعالات المختلفة كمعان تبثها اللغة في الكلام، وما العاطفة والانفعال إلا فرع من فروع المعنى الذي تعبر عنه اللغة بوسائلها المختلفة، ولكن من أين تأتي العاطفة والانفعال في الكلمة كمعنى يصل إلى عقل السامع ؟

4ـ مصادر العنصر العاطفي في معنى الكلمة:

أحياناً يكون المعنى بطبيعته مثيراً للشعور والإحساسات القوية من ذلك أن الكلمات التي تدل على القيم الخلقية نحو: حرية، عدل، حتى الصفات التي تستعمل في المدح أو القدح مثل: طيب، جميل، رقيق، شنيع، دنيء، حقير، وكلها ألفاظ يصعب تلخيصها أو تجريدها مما فيها من إيحاءات ذاتية عاطفية .

وأحيانا أخرى، قد يكون اللفظ نفسه بما له من وقع صوتي معين عاملاً من عوامل التأثير العاطفي للمعنى، فالمعروف أن بعض الأصوات، وبعض التراكيب الصوتية ذات قوة تعبير عن المعنى وملائمة لهذا المعنى بوجه خاص. وهذا معنى رمزية الأصوات [2].

وقد يكون السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها – أساساً – التعبير عن العواطف والانفعالات، وإلى إثارة هذه العواطف والانفعالات، ويتضح هذا بصفه خاصة في مجموعة معينة من الكلمات نحو (حرية، عدل) التي قد تشحن في الحياة كثير من الأحيان بمضمونات عاطفية، بل إن بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد يكتسب نغمة عاطفية قوية غير متوقعة في المواقف الانفعالية مثال ذلك كلمة (جدار) في هذه القطعة من (حلم ليلة في منتصف الصيف) :

وأنت أيها الجدار! أيها الجدار الحلو الجميل
وأنت الذي تحول بين بيت أبيها وبيني

---

(1) دور الكلمة في اللغة، 91.

(2) دور الكلمة في اللغة، 93 .

وأنت أيها الجدار! أيها الجدار الحلو الجميل
ألا تتصدع من أجلي فالمحها بعيني !
شكرا لك أيها الجدار المهذب؛ رعاك الله من اجل هذا الصنيع
لا! أنت أيها الجدار اللئيم الذي لا أرى من خلاله رحمة
لعنة الله على كل حجر فيك لقد خدعتني !

وهكذا نرى أن السياق وحده هو الذي يساعدنا على إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية والانفعالية [1].

والمصدر الأخير يتمثل في " قوة الكلمات على الاستدعاء فالملاحظ أن وقوع الكلمات في نماذج معينة من السياقات يكسبها جواً خاصاً ويحيطها بملابسات تعين في الحال على استحضار البيئة التي تنتمي إليها هذه الكلمات، ومصداق ذلك أننا نرى المصطلحات الفنية أو المهنية أو العلمية يحمل في ثناياها طابع الذين يستعملونها من المتخصصين [2].

هذه المصادر التي تمد المعني بالعناصر العاطفية والانفعالية هي جزء لا يتجزأ من النظام اللغوي، فهي تفرض نفسها على الجماعة اللغوية كلما سنحت الفرصة لذلك ويكون تأثيرها حينئذ تأثيراً عاماً مطرداً إلى حد بعيد.

الخلاصة: إن اللغة تكسب بألفاظها وسياقاتها المختلفة المعنى عناصر انفعالية، فيصبح المعنى معبراً عن الانفعال أو العاطفة من خلال تلك الرسائل اللغوية فالانفعال والعاطفة أحد جوانب المعنى، والتعبير عنهما هو إحدى الوظائف اللغة الرئيسية .

5- رد الفعل :

إن اللغة بما ذكرنا من وسائل تستطيع أن تؤثر في الجماعة اللغوية، بل تفرض نفسها على الجماعة اللغوية كلما سنحت الفرصة لذلك، ويكون تأثيرها حينئذ عاماً مطرداً إلى حد بعيد. ولكن يكون رد فعل المستمع على هذه الإثارة أو ذلك الانفعال القادم إليه من خلال ألفاظ وتراكيب وسياقات ينطق به المتكلم أمامه .قد يكون رد الفعل بالاستحسان أو الاستهجان وهذا الأمر يتوقف على عوامل تحدد نوع رد الفعل، فمنها أنها هنا فردية أكثر منها جماعية فالظروف والملابسات الشخصية مثلاً قد تكون هي العاملة في تحديد نوع رد الفعل الذي يصدر من كل واحد منا تجاه الكلمات، بل تجاه أسماء الأعلام .... ونستطيع أن نلمس هذه الحالة في أخبار الصحف، فهذه الأخبار تبين لنا كيف يكون تأثير الناس بظروفهم وحالاتهم الخاصة تأثيراً قوياً وكيف أن هذا التأثير – الذي قد يكون بالرضا والاستحسان أو النفور والاشمئزاز – لا يمكن تعليله أو توضيحه وذلك لارتباطه بعوامل شخصية ذاتية، زد على ذلك أن الألوان العاطفية أو الانفعالية للمعنى قد تكون مقصورة على سياقات فردية [3] .

---

(1) دور الكلمة في اللغة، 58 .
(2) المرجع السابق، 94 .
(3) دور الكلمة في اللغة، 95 .

وإذا كان هذا رأي استيفن أولمان في أن رد الفعل مقصور على الظروف والملابسات الشخصية، فإننا نضيف إليه عاملاً آخر يؤثر في رد الفعل وهو أخطاء السمع، وقد حدث أن تشاجر شخصان، وفي وسط الحوار تكلم الأول بكلمة يقصد بها سب الآخر، ولكن النتيجة كانت غريبة حيث أخطأ الثاني فيما سمع، فقد سمعها كلمة تودد، وطلب التسامح فتحول الانفعال من الغضب والثورة إلى عتاب ومصالحة بينهما. وقد يحدث العكس في مواقف انفعالية أخرى حيث يحدث خطأ في السمع ينتج عنه شجار ويحول الانفعال من رضا إلى غضب .

وهناك عامل آخر أشار إليه استيفن أولمان في حديثه، وهو أن رد الفعل شخصي مقصور على الظروف والملابسات الشخصية، ونتيجة لهذا فإن ما يفعله البعض تجاه كثير من الألفاظ التي تصدر من شخص آخر قد يكون المتوقع كرد فعل لهذه الألفاظ هو الاستحسان ويحدث العكس وهو الاستهجان أو الاشمئزاز، وربما الشجار لماذا ؟

لأن هذا الشخص الثاني ربط بين هذه الألفاظ ومواقف انفعالية سابقة فنتج عن ذلك هذا الانفعال غير المتوقع، وقد يحدث عكس ذلك للسبب السابق نفسه، كما أن رد الفعل يرتبط أولاً وأخيراً بنوع المثير ومدى تأثيره على هذا الشخص، فرد الفعل شخصي، فإذا كان المثير قصيدة مليئة بالانفعالات أو أغنية وطنية أو عاطفية أو خبر في صحيفة؛ فإن هذا المثير يتبعه رد فعل يختلف من شخص إلى آخر حسب ارتباط هذا الشخص بذلك الخبر أو تأثره به .

وقد يكون رد الفعل متفاوتاً من شخص إلى آخر، ما بين صيحة أو ربما صيحات هستيرية معبرة عن الفرح الشديد أو الحزن الشديد، وقد يكون كلمات هادئة مثل: مسكين فلان !، يقول فندريس: إنني أرى حادثاً يقع أمامي، فأصبح راثياً لحال صاحبه آه ! المسكين وأقابل صديقا لم أكن أتوقع لقاءه فأقول له: أنت هنا! فهذه الجمل ذات قيمة انفعالية، واضحة كل الوضوح [1].

كل هذه الأفعال من كلمات أو صيحات هي عبارة عن انفعالات في لغة بسيطة يفهمها كل شخص حتى ولو لم يكن يعرف تلك اللغة، ولماذا ؟ لأن تلك الكلمات أو الصيحات تكون مصحوبة بوسيلة تعبيرية أخرى، تعبر عن نوع رد الفعل من استحسان أو استهجان وهذه الوسيلة هي الإشارات الجسمية المختلفة التي يصدرها ذلك الشخص المنفعل بما سمع أو قرأ، وتكون في شكل علامات على وجه صاحبها تدل على السعادة أو الحزن . أو ربما تكون في شكل حركة باليد أو القدم أو القفز لأعلى لشدة الانفعال، أو الوقوع على الأرض، أو بدون لغة مطلقاً مثل الصمت وله دلالة كبيرة أكثر من اللغة نفسها .

6- ضعف المثير اللغوي:

---

(1) اللغة لفندريس، 183 .

يقول Stephan ستيفن أولمان (المعنى العاطفي كأي عنصر من عناصر النظام اللغوي معرض للتغيير وعدم الثبات، فالشعارات العصرية والنداءات المذهبية الخاصة مثلاً كثيراً ما تفقد قوتها وتصبح جدباء عقيمة في مغزاها وتأثيرها، وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن الظروف الأصلية التي انبثقت منها هذه الشعارات والنداءات قد فقدت فاعليتها وزال تأثيرها، أو قد حدث تلطيف في درجة الانفعال والحماس المرتبطين بهذه النداءات والشعارات، ومن ثم لا يستطيع النداءان: (حكومة وطنية) و (الحقوق الانتخابية للمرأة) أن يثيرا الآن في النفس ما قد أثاره في يوم من الأيام من الانفعالات الحادة والشعور القوي .

إن هذه الكلمات دخل عليها عنصر الزمن، وتغير الأحوال فأفقدها قوة التأثير الذي كانت تستمتع به، وقد يكون كثرة الاستعمال والترداد يؤدي بها إلى فقد هذا التأثير، بل الابتذال أحياناً، (وهذا العامل يتمثل فيما يعرف بقانون التضاؤل التدريجي) ذلك القانون الذي يقوم بدور كبير في تغيير المعنى في أحيان كثيرة. فتفقد هذه الكلمات ألوانها المعنوية الخاصة، وأن تحرم من قدرتها التعبيرية والإيحائية بكثرة التكرار والترداد فتحتاج إلى تعزيز وتقوية دائمين [1]. هذه الألفاظ التي تحمل كثيراً من الانفعالات والعواطف تثير في النفس كثيراً من المشاعر قد يصيبها الضعف – كما ذكرنا – وتصبح باهتة، بل ربما مبتذلة، قد تكتسب فجأة مضموناً عاطفياً قوياً ولكن كيف يتم ذلك ؟ ربما يتناول هذا اللفظ الباهت شاعر أو أديب فيدخله في شعره ويتقبله المجتمع يقول ستفين أولمان: الكلمات الباهتة الخالية من الإشعاع أو الإيحاء خلواً تاماً في السياقات العملية المحضة، ربما تكتشف فجأة عن مصادر غير متوقعة من الإيحاء وقوة التعبير في المواقف الانفعالية والشاعرية، وقد يجدد الشعراء في الصور القديمة للمعاني ويعيدون إليها الحياة التي فقدتها بالتدريج، وذلك بالرجوع بها إلى أصولها التاريخية الأولى؛ فعندما يقول الشاعر الحديث: طويل اللسان فصيح البيان ... تبرز العبارة (طويل اللسان) فجأة ويتضح معناه القديم وضوحاً لا خفاء فيه، وهذا المعنى القديم هو الوصف باللسان والبلاغة [2].

ولهذا السبب يجب أن تدرس اللغة الشعرية وما فيها من إمكانيات تعيد للألفاظ قدرتها على الإيحاء بحملها معان كثيرة فقد تزيد التعبيرات الدارجة واصطلاحات اللهجات العامية في بهجة الأسلوب وحيويته إذا استعملت استعمالاً لبقاً، غير أن ذلك يحتاج إلى حس مرهف، وأن الأسلوب يتضمن فكرة اختيار الأنسب من بين طرائق التعبير الممكنة التي تصنعها اللغة بين يدي الكاتب أو المتكلم، وإذا كان الاختيار من بين المترادفات المتحدة

(1) دور الكلمة في اللغة، 96.

(2) دور الكلمة في اللغة، 77.

المعنى الموضوعي، فهذا الاختيار بوجه خاص هو الذي يظهر مهارة الكاتب أو المتكلم وقدرته على تناول الظلال والألوان العاطفية لهذا المعنى[1].

7- مشكلة المصطلح والتعبير عن الانفعال:

إن المصطلحات التي نستخدمها للتعبير عن الانفعالات المختلفة يشوبها كثير من الغموض وكثير من المشاكل، ومن هذه المشاكل:

أ - قد "يعبر كثير من العلماء المعاصرين عن الانفعالات باستخدام مفاهيم مجردة مثل الخوف والحزن والغضب والفرحة دون أن تتضمن هذه المفاهيم أي معلومات حول حالة المخ، ومصدر، وهدف وتوقعات، ونتائج الانفعال المتضمن بالنسبة للذات أو للآخرين" [2].

إن الألفاظ التي تستخدم للتعبير عن الانفعالات المختلفة، هي مفاهيم مجردة في عقول البشر، ولكننا في حاجة لمعلومات عن حالة المخ وحالة المنفعل والمتلقي لهذا الانفعال، من أهداف أو أسباب الانفعال ومصدره، وتوقعات لسلوكه كرد فعل، ونتائج ذلك التوقع والانفعال، كل هذه الأشياء تبين كل جوانب قضية الانفعال الظاهرة والباطنة.

ب - وأيضا نحن في حاجة إلي مصطلحات جديدة تعبر عن التنوع اللانهائي لكل انفعال مثل الخوف بأنواعه واختلاط المشاعر الانفعالية مثل الغضب مع الخوف، أو "حالة طلاب الجامعة في السنة النهائية مع اقتراب شهر مايو (شهر الامتحانات والتخرج) والتي تجمع ما بين الشعور بالفرحة الغامرة والحزن لفراق الجامعة التي يحبونها" [3].

ج - المشكلة في الكلمات الخاصة بالانفعالات هي أن كلا منها له معان متعددة وبالتالي غامضة... وسبب هذا الغموض هو أن الأفراد يستخدمون من حين لآخر كلمات مختلفة لوصف مشاعرهم، وهذه الكلمات إذا ما قيست قد تكون متشابهة.

د ــ الأشخاص الذين مروا بالفعل بتجربة شعور معين يكون لديهم معنى للمصطلح يختلف عن المعنى الذي يفهمه الآخرون الذين لم يعايشوا هذا الشعور فمعنى الخوف من الإيذاء بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا ضحية العنف يختلف عن المعنى الذي يفهمه من لم يمروا علي إطلاق بتجربة الاعتداء الجسدي عليهم[4].

الفصل الثالث

(1) المرجع السابق، 94.
(2) ما الانفعال؟، 199.
(3) المرجع السابق، 201.
(4) ما الانفعال ؟،211.

الإبداع والانفعال

ما الإبداع ؟:

الإبداع (الابتكار - creativty):

تنوعت التعريفات التي تناولت مفهوم الإبداع، نتيجة لتعدد الاتجاهات والنظريات التي تناولته وحاولت تفسيره، فعرفته بأنه "القدرة علي اكتشاف علاقات جديدة، أو حلول أصيلة تتسم بالجدة والمرونة، ويسمى الإبداع، وخيال إبداعي (creative imagination) تـوارد حـر للصـور الذهنيـة والأفكار، أو نمط جديد لها يفيد في حل مشكلة ما"[1] لقد أوضح هذا التعريف جانبا هاما في عملية الإبداع، وهو ابتكار حلول واكتشاف روابط جديدة وعلاقات بين الأشياء، فهو خلق لتصورات جديدة لم تكن موجودة إلا في ذهن المتكلم.

أمـا التفسـيرات المبكـرة للإبـداع فقـد فسـرته علـي أسـاس افتـراض أن الإنسان لا يلعب دورا مباشرا في عملية الإبداع، وعلي ذلك فقد ربطت الإبداع بالطبيعة وفسرت دور الإلهام والوعي في إنتاج الفكرة الجديدة، ومنها نظرية الإلهام لأفلاطون الذي يري أنه لا يوجد شيء يسمي بالإبداع الشخصي؛ وإنما يري أن الإبداع ناتج عن وجود قوة خارجية إلهية تسمي الإلهام، أما أرسطو فيعتقد أن عمليات الإبداع تخضع لقوانين الطبيعة، ويركز علي دورها في إنتاج الإبداعية التي تحدث تلقائيا أو بالصدفة[2]".

ويقـول د. حنـورة: "إن عمليـة الإبـداع هـي نشـاط نفسـي، والنشـاط النفسي... هو مجموعة من الظواهر السلوكية التي تصدر عن الفرد كرد فعل واستجابات علي منبهات تصدر إليه من البيئة (سواء كانت داخلية أو خارجية)... النشاط النفسي إذن مجموعة الاستجابات، قد تكون استجابات حركية أو ذهنية أو لغوية.."[3] هذا يعني أن هناك مثير واستجابة تنطلق من داخل الفرد أو خارجه، كنشاط نفسي يعبر عن استجابته لمثير حركي أو ذهني أو لغوي.

الإبداعية: creative قدرة علي إنتاج فكرة إفصاحية بشكل ملحوظ أو علي إنجاز إنتاج (... نص أدبي أو علمي ...) يكون مجددا وغير متوقع يتلاءم مع الوضع ويعتبر ذا قيمة[4].

كيف تتم العملية الإبداعية ؟

---

(1) معجم النفس والتربية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1984، ج1، ص37.

(2) نظريات الإبداع، د. الحملاوي صالح المعتمد، الشبكة العنكبوتية.

(3) الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية، د. مصري حنورة، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، القاهرة، 1979، ص13.

(4) قاموس العلوم المعرفية، غي تيبرغيان وآخرون، تر/ جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013، ص165.

يكمن الطابع التجديدي في العملية الإبداعية ذاتها، ويمكن تحليل هذه العملية في أطر شتى:

أ ـ عوالم صغري مبنية اصطناعيا، بحيث تتيح مرونة في الأفعال وتحكما في الإجابات الممكنة، ... أي بروز مفاهيم جديدة تتم بانزياحات مفهومية"[1] فالإبداع يبدأ بظهور عوالم صغيرة لدى المبدع، تأتيه في شكل مفاهيم جديدة تصل إلي ذهنه؛ فتزيح مفاهيمه القديمة.

ب ـ عمليات معرفية توليدية: تنطلق من ظروف متخيلة.. وتصل إلي نشاطات في التصميم تمكن من دراسة الإبداعية المتعلقة بالخبرة في مجال معين."[2] هذا يعني إن العمليات المعرفية التي يكتسب من خلالها الفرد مهارة أو خبرة، هي ذات طبيعة توليدية، أي لديها قدرة علي النمو والتوليد من خلال الخبرات المكتسبة، في إطار ظروف معينة لدى المبدع.

ج ـ الإبداعية: تعتبر قدرة متعددة الأبعاد بالإضافة إلي الجوانب المعرفية.

المبدع: من يستطيع أن يكون مبدعا ؟

وصف الإبداعية أحياناً بأنها خاصة ببعض الأشخاص... وأنها ناجمة عن عمليات فكرية اعتيادية في ظروف حل المشاكل اليومية. الفكرة الأكثر شيوعا تقول: إن الكائنات البشرية قادرة كلها علي طرح أفكار إبداعية، حتى ولو كان البعض أكثر إبداعا من غيرهم[3].

هذا القول الأخير يبين أن كل إنسان قادر على الإبداع؛ كلٌ في مجال عمله؛ ولو كان بائعا في السوق؛ فإنه قادر علي أن يبدع عبارات لم نسمع بها من قبل؛ يشهر بها عن سلعته تصدر منه بصورة عفوية غير متوقعة، تلك الصفة الأخيرة هي لب عملية الإبداع (غير متوقعة) "يقتضي التكلم عن الإنتاج الإبداعي أن تحظى المنظومة المعلوماتية بنوع من الاستقلالية وأن تكون النتيجة التي يفضي إليها ليست تجديدية فقط وذات قيمة، بل غير متوقعة أيضاً[4]، هنا يكون الإبداع بأن يفاجئ المتكلم سامعه بأشياء لغوية جديدة لم يتوقعها منه.

العلاقة بين الإبداع والانفعال:

يقول برجسون: إن **جوهر الإبداع** هو **الانفعال**، ويعرف الانفعال بأنه هزة عاطفية في النفس، وينبه على ضرورة التفرقة بين النوعين من الانفعال: انفعال سطحي وانفعال عميق، الأول هو العاطفة التي تلي فكرة أو صورة متمثلة فتكون الحالة الانفعالية ناتجة عن حالة عقلية، وهنا يبدو

---

(1) المرجع السابق، 165.
(2) المرجع السابق، 165.
(3) المرجع السابق: 166
(4) المرجع السابق، 167.

بوضوح أن الحالة الانفعالية تكون مكتفية بذاتها لا تتأثر بالانفعال الناتج عنها، وإذا تأثرت فإنها تخسر أكثر مما تربح، لأنها تتعطل وتشتت بدلاً من أن تنمو وتتفرع، أما الانفعال العميق فلا ينجم عن تصور، بل يكون هو نفسه سبباً لبزوغ عدة تصورات، ولذلك يمكن وصف الانفعال السطحي بأنه انفعال تحت عقلي، والانفعال العميق بأنه فوق عقلي، وهذا الأخير هو وحده جوهر الإبداع، في العلم أو الفن أو في الحياة الاجتماعية [1] .

إذا كان جوهر الإبداع هو الانفعال فلابد أن نفهم طبيعة العلاقة بين الانفعال والإبداع ثم نقوم بملاحظة أثر الانفعال على عملية الإبداع، وما هي حالة الفنان أو المبدع أثناء ممارسته عملية الإبداع ؟

يسأل د. مصطفي سويف "ما منشأ هذا الانفعال؟ إنه ينشأ نتيجة لاتحاد مباشر بين العبقري وبين الموضوع الذي يشغله.فإذا وقع هذا الاتحاد فإنه يتبلور في حدس ... إن بزوغ الحدس يكون مصاحباً لوقوع انفعال عميق، ولا يزيد مضمون الحدس علي أن يكون تخطيطا متكاملا كل ما فيه إمكانيات فحسب، وهنا يتقدم الانفعال بقوته الدافعية فيدفع هذا التخطيط نحو الواقعي . فيحاول أن يملأه بالصور أو بالأصوات أو بالأحداث علي حسب المادة التي يعمل فيها العبقري،... وتكون مهمة الانفعال أن يثير الذاكرة فتثير الصورة التي تملؤها، عندئذ يأخذ من بينها ما يلائم التخطيط الآخذ في التحقيق[2].

فإذا كنا ندرس إبداع الشاعر فيكون مجال عملنا هو اللغة؛ وكيفية الإنتاج اللغوي، ولكن بصورة مبدعة وطريقة يعجز عنها كثير من الناس، ولهذا كان الإنسان المبدع – شاعراً أو كاتباً – ذا مواصفات خاصة، تجعله يعبر بطريقة خاصة عن انفعال داخلي باستخدام اللغة. ومن هنا ارتباط الانفعال باللغة، الانفعال بصفته شيء داخل المبدع، واللغة بصفتها الصورة الظاهرة للانفعال؛ لهذا يجب أن ندرس هذه الأمور في محورين: الأول يتناول الانفعال الخاص بالمبدع، والمحور الثاني يتناول نتائج هذا الإبداع أي العمل الفني، وقد جعلتُ للمحور الثاني بابا مستقلاً هو الدراسة تطبيقية للغة الشعر.

أولاً : الانفعال والإبداع :

إن عملية الإبداع – كما يرى كثير من الشعراء – تبدأ بعملية انفعال داخلي تطفو على السطح في صورة قصيدة، ولكن كيف يتم ذلك ؟

(1) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر، 209 .

(2) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 210.

لحظة الإبداع: إنها اللحظة التي ينتج فيها الأديب عمله الأدبي "فإن الشاعر إذ يبدع القصيدة يمر بلحظات تلق أو انطلاق يكاد يختفي فيها كل أثر لبذل الجهد، ثم يمر بلحظات أخرى ملؤها المقاومة والتنقيب." [1]

فالشاعر بين قوتين قوة إلهام تجعله في شبه غياب عن الوعي مسلوب الإرادة؛ لما يلقيه عليه الانفعال الداخلي، ثم تأتي لحظة أخرى ينتبه فيها لما قال أو كتب فيعيد النظر فيه، أي لحظة المقاومة والتنقيب، يقول دي لاكروا: إن للإلهام وجوده لكنه لا يكفي لتفسير الإبداع، وليست ميزة الفنان أن يقف مسلوب الإرادة أمام وابل الإلهام، بل لعل ميزته الكبرى أنه يستطيع أن يمسك بهذه الإشراقات ويتأملها، وبهذا المعني قال هيجل: إن العمل الفني يؤلف بين عناصر عقلية وعناصر حسية، ومن ثم فإن الفنان يستعين بعقل إيجابي نشط وحساسية حية عميقة، وبدون التأمل الذي يعرف كيف يميز ويفرق ويتخير يعجز الفنان عن السيطرة على موضوعه الذي يريد أن يضمنه هذا العمل " ويقول لامب " إن الشاعر يحلم، ولكنه في يقظة " [2].

إن هذه الحالة التي يعيشها المبدع أو الفنان كثر السؤال عنها؟ هل يكون الفنان أثناء ممارسته لعملية الإبداع تلقائياً أم إرادياً؟ كلا الرأيين له أشياع وأتباع سواء من الباحثين أو الفنانين. يقول د. مصطفي سويف: إن عملية الإبداع الفني عملية معقدة غير متجانسة، وهذه العبارة على غموضها يمكن أن تعني لنا حقيقة هامة في هذا الموضوع من البحث، فهي تعني مثلاً أنه لا القائلون بالتلقائية ولا القائلون بالإرادية قد أصابوا، لأننا هنا بصدد نشاط غير متجانس [3].

إن الشاعر إذ يبدع قصيدته فإنه يمر بلحظات تلق أو انطلاق يكاد يختفي فيها كل أثر لبذل الجهد ثم يمر بلحظات أخرى ملؤها المقاومة والتنقيب فقد وصف دي لاكروا الإلهام بأنه صدمة كالانفعال، وقال إن حال الملهم في لحظة الإلهام كحال من يُجذب انتباهه فجأة، عندئذ يختل التوازن لديه، ويمضي نحو اتزان جديد، وينقطع سير العمليات الذهنية ويدخل في الميدان شيء جديد، وطبيعي أن توجد عندئذ حال وجدانية قد تكون عنيفة، حتى لتبلغ الحماسة، وينساب في الذهن سيل فجائي من الأفكار والصور[4].

إن هذه الحالة الانفعالية التي يعيشها الشاعر وتجعله يبدع العمل الفني فينطلق إلي أوراقه أو وسيلته في التعبير ومتنفسه لإخراج هذا الانفعال، وهنا تظهر مشكلة جديدة للشاعر وهي اللغة، فقد تراوحت النظرة إلى هذه

---

(1) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 209.

(2) المرجع السابق، 188 .

(3) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 187 .

(4) Psychologie de 1 Art

العلاقة بين فريق يرى اللغة مجرد وسيلة في يد الشاعر إلى شيء وراءها إلى فكرة مطلقة عند هيجل وإلى السلام المخلص عند شوبنهور، وإلى الكشف عن مضمون اللاشعور والتخلص من ضغطه الذي يثير الاضطراب في الحياة النفسية عند أصحاب التحليل النفسي، وبوجه عام هي مجرد وسيلة عند من عنوا بالمضمون في العمل الفني دون الصورة، وعلى الضد من ذلك هي غاية الفنان عند الفريق الآخر من الباحثين ... والواقع أننا هنا بصدد مشكلة على جانب من الأهمية لما نلمسه في آثار الشاعر من استخدام اللغة استخداماً خاصاً خاضعاً لتنظيم معين، يبدو في أجل مظاهره في الشعر المنظوم المقفى، ولا يمكن إغفاله حتى في حالة الشعر المرسل [1].

وأيا كانت اللغة بالنسبة للشاعر أو الفنان إلا أنها المظهر الذي يوضح صورة انفعالية، وهي مرآة لفكره .

مراحل الإبداع :

إن الإبداع هو انفعال – بل جوهر الإبداع هو الانفعال – يختلج في نفس الشاعر، ثم يفيض منه في شكل عمل فني؛ يذيب وجدان مستمعيه لما ينقله من انفعال داخل الشاعر؛ لا يحس به سواه إلى مستمعيه فيشاركونه هذا الإحساس، وكلما كان هذا الشاعر صادقاً في انفعاله معبراً عنه بلغة واضحة دقيقة كلما كان مؤثراً في مستمعيه .

كيف يتم إنتاج العمل الفني ؟

يقول باترك Catharine Patrick إن الفكر المبدع يمر بأربع مراحل :

1- الاستعداد أو التأهب، حيث يستقبل المؤلف، ويجتمع لديه بضع أفكار وتداعيات، وكأنه لا يسيطر عليها فهي تعبر بسرعة .
2- تأتي بعد ذلك مرحلة " الإفراخ " إذ تبرز فكرة عامة (أو حال شعري) وتكرر نفسها بطريقة لا إرادية من حين لآخر .
3- تتبلور الفكرة التي برزت هكذا .
4- تنسج هذه الفكرة وتفصل [2].

وهذا يعني أن عملية الإبداع تمر بمراحل كمراحل تكوين الجنين، فلابد للشاعر أن تكون لديه أفكار تتحول إلى صور وعبارات في جمل تتكون منها أبيات القصيدة. ولكن كيف يتم هذا ؟

إن أول خطوة يخطوها الشاعر في طريق الإبداع أن يتحرك للتعبير عن "الأنا" أي التعبير عن نفسه نتيجة لتجربة ما متصلة (بالأنا) بعثت عنده آثار تجربة قديمة على (الأنا)، وقد تبادلت التجربتان التأثر والتأثير واختلط الأمر على الشاعر فكأنه في دوامة يحاول تحقيق الاتزان، يقول د. مصطفي

---

(1) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 189.

(2) Patrick C."the relation of whole and part in creative thought, Amer. Jpsychol LIV,NO.1.1941

سويف: يندفع الفنان نتيجة لالتقاء التجربتين؛ يندفع في نشاط يهدف إلى خفض التوتر وإعادة الاتزان، ويكون هذا النشاط منظماً بفعل الإطار فتكون النتيجة قصيدة .

ومن المحقق أن هذا النشاط يكون مدفوعاً بضغط جهاز أشد اتساعاً، هو جهاز (النحن)، فإن اختلال اتزان (الأنا) ككل واندفاعه إلى إعادة هذه الصلة على أسس جديدة تبدو فيها آثار تجربته عن طريق الإطار، ومن هنا كان العمل الفني فردياً واجتماعياً في وقت معاً، فهو تنظيم لتجارب لم تقع إلا لهذا الفنان لكنه تنظيم في سياق الإطار ذي الأصول الاجتماعية الذي يحمله الفنان ويتخذ منه عاملاً من أهم عوامل التنظيم [1].

مكانة عملية الكتابة في داخل العملية الإبداعية :

إن الشاعر إذ يبدع فإن عملية الكتابة ليست سوي وسيلة نحو هذا التنظيم لتجربته وإعادة الاتزان إلى (الأنا)، يستعين بها لتثبيت تجربته دون أن تفلت منه بعض أجزائها. وإذا استطاع أن يثبت هذه الجوانب بأية طريقة أخرى فلا حاجة له بالكتابة، ولذلك نجد رامي يقول: أنا قلما أكتب عندما أبدع ولكني أغني ... ومن هنا يبدو كيف أن فعل الكتابة مجرد طريق إلى التنظيم أو التوضيح " .... إن حركة الشاعر في عملية الإبداع إنما هي مدفوعة نحو التنظيم، تنظيم هذا المشهد الجديد أو هذه التجربة التي هي نتاج التقاء آثار تجربتين، داخل الإطار الشعري الذي يحمله [2].

ولكن كيف تتم عملية التنظيم هذه ؟

إن الشاعر في بداية العملية الإبداعية يكون محملاً بالتوتر الدافع، ففي بداية العملية يكون سطحياً ولكنه كلما اقترب من نهاية هذا التوتر ازداد عمقاً وثقلاً على (الأنا) بحيث تصبح (الأنا) في قبضته، وكثيراً ما راع الشعراء ذكري هذه اللحظات بعد أن يفروا منها، فيتعجبون لغرابتها وسرعان ما يعممون ويغرون سواهم بالتعميم، فيتفق الجميع على القول بأن الشاعر لا يملك لنفسه حولاً ولا قوةً في هذه اللحظة.

إن حركة الشاعر إذ يندفع هكذا في مجموعة من الوثبات تصل بينها لحظات كفاح فهو لا يتقدم من بيت إلى البيت الذي يليه بل في هذه اللحظة يبزغ فيها أمام الشاعر عدة أبيات دفعة واحدة، مما يدفعه إلى الإسراع في كتابتها خشية أن يضيع أحدها. وقد يكتب آخرها قبل أولها؛ وهي بناء متماسك منظم بمعنى أن لأجزائه دلالة حسب موضوعها في الكل، بل إن الكثير من الشعراء يشكون أن القلم أحياناً أبطأ من أن يلاحق تسجيل وابل الإلهام، إن هذه الوثبات متماسكة بحيث إن الشاعر إذا نظر في قصيدته بعد الفراغ منها وأعاد تغيير مواضع الأبيات فيها لم يعتمد على وحدة الوثبة

(1) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 209 .

(2) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 290 .

وتكاملها فلم ينقل أحد أبياتها إلى وثبة أخرى، بل نقل الوثبة بكاملها أو أعاد تنظيم الأبيات بداخلها [1].

ومن هنا كانت الوثبة هي وحدة القصيدة؛ وليس البيت هو الوحدة كما هو الشائع عند النقاد العرب بوجه خاص؛ فالوثبة هي الوحدة الدينامية المتكاملة للقصيدة التي هي كل دينامي متكامل، وكذلك كل عملية متكاملة لابد أن تتألف من عملية صغرى متكاملة، والظاهر أن خطأ النقاد العرب في تحديد الوحدة الدينامية للقصيدة دفعهم إلى خطأ آخر إذ أضافوا إلى قيود الصنعة قيداً قالوا فيه إن شرط القصيدة الجيدة أن تتألف من أبيات كل بيت فيه يتم معناه بتمام لفظه، وشاع في كتب الأدب العربي تفنيد الشعر على هذا الأساس.

كما شاعت فيها ظاهرة ربما كانت من أخطر الظواهر على ذوقنا الأدبي عامة، ألا وهي تحطيم بالاكتفاء بإيراد بيت من القصيدة أو أبيات من مواضع مختلفة، واعتبرت هذه الأبيات كافية للتعريف بالقصيدة بل بالشاعر الذي أبدعها [2].

الاستعارة والإبداع :

إن الشاعر وقد عاش في وثبة شعورية انفعالية تغيرت لديه دلالة الأشياء، فلم ير الأشياء كما هي، بل يراها وفق نوع هذه الوثبة الانفعالية، فهو يرى الأشياء حزينة أو سعيدة حسبما يختلج في نفسه من مشاعر وانفعالات .

يقول د. مصطفي سويف: إن الشاعر يرى في الوثبة مشهداً لم يره من قبل؛ يرى الأشياء وقد تغيرت دلالتها. فبعد أن كانت ذات خصائص وظيفية ثابتة أصبحت ذات خصائص فراسية. كان الشاعر قبل هذه اللحظة يرى هذا الشيء مجرد (كتاب)، لكنه أصبح الآن يراه كتاباً (يحمل عبئاً ثقيلاً) إنه مجهد، فقد حمل أشعار سافو عبر القرون الطوال. بل لقد تتغير دلالته تغيراً تاماً، فلا يعود يراه كتاباً بل يراه (قبراً) وذلك عندما يتأوه لأنه بعد أيام معدودات لن يقدر له أن يعيش " إلا بين جلدتي كتاب " [3].

وتبدأ عملية التخيل والإبداع من لحظة دخول الشاعر في التجربة الشعورية ونقد الشاعر لـ (الأنا)، ومحاولة الاتزان؛ فتصبح الصور التي لديه عن الواقع العملي أكثر تحرراً منها عند الآخرين .

بمعنى أنها أكثر قابلية للتغيير واكتساب دلالات جديدة، ويتم هذا التغيير في لحظات معينة تكون مقرونة إلى درجة معينة من فقدان اتزان (الأنا)، وتكتسب الوقائع دلالات تمليها ديناميات الموقف، ففي موقف مركزه (الأنا)

---

(1) المرجع السابق، 292

(2) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 294 .

(3) المرجع السابق، 297 .

تصبح ذات خصائص فراسية، وهنا نستطيع أن نقول إن الواقع العملي أصبح تابعاً للمجال الذهني إلى حد بعيد، وعلى هذا الأساس يلزمنا أن نفهم الشاعر، فهو عندما يقول إن الأطلال حزينة يراها حزينة فعلاً، وعندما يقول رأيت البراري ضاحكات (فقد رآها) هكذا فعلاً، كل ما يمر بذهن الشاعر في هذه اللحظات يكون ذا دلالة جديدة تابعة لديناميات الموقف، حتى ذكرياته الخاصة، إن الشاعر لا يغير ذكرياته لكنها تعود إليه متغيرة، وهو لا يقصد إلى وصف الوقائع من حوله بأوصاف جديدة، لكنها هي التي تأتي إليه حاملة هذه الأوصاف (1).

ها هنا نستطيع أن نجد الأساس الدينامي للاستعارة. فإن من أبرز خصائصها أنها تعتدي على حدود الواقع العملي بدرجة كبيرة، فليس في واقعنا العملي " شمس صفراء عاصبة الجبين "؛ إنما يوجد ذلك في المجال الإبداعي للشاعر حيث يكتسب التهويم بعد الواقعية إلى حد بعيد (2).

مثال للاستعارة :

" أنا نرجس شارون "

" أنا سوسنة الأودية "

" عيناك صمامتان "

إن هذه الاستعارات تتألف من طرفين، بينهما تتطابق. لا يبيحه الواقع العملي، والشائع أن يسمي أحدهما المشبه والآخر المشبه به، والشائع أيضاً لا سيما عند علماء اللغة أنهما فكرتان منفصلتان؛ وقد ربط بينهما الشاعر على أساس أن الأول هو الطرف الرئيسي والثاني هو الطرف الثانوي المضاف لمجرد توضيح الطرف الأول أو تجميله، وهذا ما يعيبه رتشاردز على النظرة التقليدية للاستعارة، ويرى على العكس من ذلك أن نظرتنا إليها ينبغي أن تكون على أساس اعتبارها كلاً متكاملاً فإنها بما يعقده من تداخل بين طرفيها تتيح الظهور لمعنى ما كان له أن يوجد بأية وسيلة أخرى، ذلك لأن كلا طرفيها يكتسب بداخلها دلالة جديدة (3).

إن الشاعر بما يبثه من خياله في الصور من أفكار جديدة وتخيلات تبدو غريبة على الآخرين يخلق صوراً واستعارات لم نفكر فيها من قبل، ولكنها بالنسبة له هي صور واقعية يراها بنفسه ـ وإن لم نرها نحن ـ فهي بالنسبة له واقع يلمسه لا خيال فيه، وهذا يصنع ـ فيما بعد – واقعاً لغوياً دلالياً، هو هذه التراكيب والجمل غير الواقعية ولكنها مستخدمة في لغة المجتمع، ولا يرفضها المجتمع بل هي جزء من تراكيبه اللغوية الشائعة؛ فلولا هذا الشاعر المبتكر بخياله المتسع ما كان لنا أن ننطق بهذه العبارات في حياتنا

---

(1) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 299 .

(2) المرجع السابق، 299 .

(3) Richards I.A. The Philosophy of Ahetories, Oxford University Press, 1936

اليومية بما فيها من خيال؛ حتى إننا يضيع من خاطرنا تماما المشبه به ويبقي المشبه .

يقول د. مصطفي سويف: ونحن نرمي أن البدء في دراسة الاستعارة على هذا الأساس الدينامي الذي بيناه من شأنه أنه يقضي على كل أثر للنظرة الاجتماعية فلا يتيح لها الظهور. فالشاعر لا يرى شيئين؛ بل يرى شيئاً واحداً وقد أصبح هذا الآخر، ومن ثم كان الطريق إلى الدراسة الصحيحة لهذه الظاهرة هو الكشف عن عوامل تغير الدلالات، والتشبيه مظهر آخر للأساس الدينامي نفسه، وإن كان يدل على سيطرة التهويم بدرجة أقل، فإن الشاعر لا يزال يعترف إلى حد ما ببعض الحدود الفاصلة بين الأشياء في مجال الواقع العملي، ودلالة هذا الاعتراف أداة التشبيه التي تصل أو تفصل بين طرفيه [1].

ولكن هذا الاعتراف سريعاً ما يزول عندما تصبح هذه الدلالة الجديدة هي السائدة في المجتمع؛ وفي استخدام أفراده لهذه الدلالة اللغوية على أنها أصل، ويبدو الأصل اللغوي غريباً على أبناء هذا المجتمع، بل ربما يصبح الكشف عن ذلك الأصل ضرباً من الميتافيزيقيا، ويصبح الكشف عن عوامل تغير هذه الدلالة باباً لكثير من الاحتمالات والتحليلات التي تصدق أو لا تصدق في توضيح أسباب تغير هذه الدلالة أو غيرها من الدلالات .

قيود الإبداع :

الشاعر إذ يبدع عمله الفني فإنه يمر بلحظات تلق، أو انطلاق يكاد يختفي فيها كل أثر لبذل الجهد، ثم يمر بلحظات ملؤها التنقيب والمقاومة، فإن للإلهام وجوده لكنه لا يكفي لتفسير الإبداع، وليست ميزة الفنان أن يقف مسلوب الإرادة أمام وابل الإلهام، بل لعل الميزة الكبرى أنه يستطيع أن يمسك بهذه الإشراقات، ويتأملها. فالشاعر يحلم ولكن في اليقظة، فالعمل الفني يؤلف بين عناصر عقلية وعناصر حسية، ومن ثم فإن الفنان يستعين بعقل إيجابي نشط وحساسية حية عميقة، ولكن ليست الإلهام هي المشكلة الوحيدة التي تواجه الفنان، فما دمنا نتكلم عن الإبداع لدى الشعراء فهناك مشكلة أخرى هي مشكلة العلاقة بين الشاعر واللغة .

يقول د. سويف: " والواقع إننا هنا بصدد مشكلة علي جانب من الأهمية، لما نلمسه في آثار الشاعر من استخدام اللغة استخداما خاصا لتنظيم معين، ويبدو في أجل مظاهره في الشعر المنظوم المقفي، ولا يمكن إغفال حتى في حالة الشعر المرسل" [2].

---

(1) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 300 .

(2) المرجع السابق، 189.

وأياً كانت اللغة بالنسبة للشاعر هل هي مجرد وسيلة في يد الشاعر أو غير ذلك؟ فهي المظهر الذي يوضح صورة الانفعال الذي يحدث داخل الشاعر فاللغة بالنسبة للشاعر هي مرآة لفكر هذا الشاعر .

إن الشاعر ـ كما ذكرنا آنفا ـً عندما يبدع يتم ذلك في وثبات أو قل دفقات شعورية؛ فيتم تسجيل الوثبة ثم يظل الشاعر مندفعاً بتوتره، ويكافح ليخطو أو يثب وثبة أخرى بعد الوثبة الماضية، ومن المحقق أنه في هذا الكفاح يشعر بأنيته، فـ (الأنا) تحاول التغلب على حاجز يقوم في سبيله، ما هو هذا الحاجز بالضبط ؟ إن الشاعر يعاينه باعتباره ضرباً من الغموض قد ساد المجال بعد ومضة الوضوح الماضية، والظاهر أنه يكون مرتبطاً إلى حد ما بقيود الصنعة واللغة أو بالإطار بوجه عام، بحيث يمكن أن يقال: إن الشاعر ذا الإطار الأكثر استقرارا يكون تغلبه على الحواجز محققاً، وذا دلالة معينة، فهو لا يضطر في هذا السبيل إلى تحطيم قيود اللغة أو النظم مثلاً كما يفعل بعض الشعراء المبتدئين[1] أي أن الشاعر لابد أن يتمكن من وسيلة التعبير فلا يحطم قيود اللغة أو النظم؛ فاللغة وسيلة تعبير لا بد للشاعر من التمكن منها.

وإذا كان الشاعر كما ذكر آنفاً في موضوع الاستعارة حراً في جانب الدلالة، حيث يتحرر من دلالات الأشياء كما هي في الواقع العملي ويشهدها ذات دلالات جديدة، لهذا يستحق لقب المبدع بالمعني الدقيق؟ لأنه أوجد على غير مثال، ولكن إلى أي مدى تبلغ الحرية به؟ إلى أي مدى يكتسب التهويم بعد الواقعية ؟ .

يقول د. يوسف مراد: الواقع لا يمضي في التهويم بغير قيود، بل هو معيد بتوجيه الإطار، فانطلاقه يكون على الدوام داخل حدود الإطار، ولو أننا اختبرنا آثار عدة شعراء ممثلين لتيار واحد من التيارات الأدبية لتبين لنا كيف أن الإطار يتدخل في توجيه حرية الشاعر في لحظات طغيان التهويم، حتى لنستطيع أن نتحدث عن طراز معين من الاستعارات والتشبيهات والخصائص الفراسية، ليست متطابقة تماماً لكن بينها نوعان من التقارب يفردها عن طرز أخرى ... نضرب مثلاً لذلك، قول لبيد :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فإنه قريب من قول زهير :

ديار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

ونضرب مثلاً آخر قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

فإنه قريب من قول الحسن بن هانئ :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ودواني بالتي كانت هي الداء[2]

---

(1) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 292 .

(2) مبادئ علم النفس، 240 .

فنجد في هذه الأبيات استعارات وتشبيهات بينهما تقارب كأن هذا الشاعر أخذ من ذاك، هذا ما لاحظه كثير من النقاد العرب، والواقع أن كل ما يأتي به المبدع لابد أن يكون ذا صلة بالإطار الذي يحمله وهو من أهم الأسس الدينامية التي تقوم عليها الـ (نحن) لأن الشعر اجتماعي بطبعه فهو أداة لبناء نحن جديدة.

وهناك أيضاً قيد آخر هو ذلك الإطار الثقافي العام للشاعر، لا إطاره الشعري فحسب الذي اكتسبه من ثقافته الفنية، بل الإطار الذي تتدخل في تحديده ظروف البيئة الاجتماعية، وظروف العصر بوجه عام .

وهناك قيد آخر من قيود الإبداع " وهو اللغة " فالشاعر لا يصل إلى معنى ثم يبحث عن لفظة كما يفعل المبتدئ في تعلم لغة جديدة، إن الشاعر لابد أن يتقن وسيلة أو أداة تعبير، وليس ليخبرنا بمشاعره، بل ليعبر عنها أيضاً بصورة مبدعة يعجز عنها غير هذا الفنان، فهو يرينا الأشياء كما ذكرنا في صورة جديدة وعبارات جديدة أيضاً .

وفي البداية فإننا نستعمل اللغة بطريقتين: الاستعمال الرمزي والاستعمال الانفعالي، فنحن نحاول في التأليف العملي أن نقترب بقدر الإمكان من الاستعمال الرمزي أما في الشعر فالاستعمال الانفعالي هو السائد. والاستعمال الأول يكون لتنظيم الإشارات الذهنية وتوصيلها، بينهما يكون الاستعمال الثاني للتعبير عن أحاسيس واتجاهات وإشاراتها عند الآخرين يقول رتشاردز؛ إن هذين الاستعمالين للغة ممتزجان دائماً ولا يمكن الفصل بينهما فصلاً تاماً، وإن كنا نستطيع التمييز بينهما إلي حد ما[1].

وهذا الاستعمال الانفعالي للغة يقصد به أن الشاعر عندما يعبر فإنه يكون في حالة انفعالية واللغة هي التي تسجل هذا الانفعال وهذا الاستعمال الانفعالي للغة هو الأصل؛ يقول ريتشاردز ومالينوفسكي: إن الاستعمال الانفعالي للغة سابق على الاستعمال الرمزي، ويبدو ذلك بوضوح في البوادر الأولى للغة عند الطفل، وفي قيمة الكلمة عند البدائيين وما تثيره فيهم من انفعالات عميقة[2]، ولكن الشاعر يعاني في هذه الحالة – حالة تسجيل الانفعال – بين انفعاله وأداة التعبير، فالشاعر – كما قلنا – لا يصل إلى معنى ثم يبحث له عن لفظ.

"ولكن الوثبة تأتيه ككل بلفظها ومعناها وتأتيه منظومة غالباً، ومن ثم نجده يحدثنا عن أنه لم يختر بحر القصيدة عن قصد وتدبر ولكن (التوتر الدافع) هو الذي اختاره، ومن هنا يبدو بوضوح أن الشاعر لم يكن مدفوعاً بتوتراته إلى استجلاء معنى معين أو صورة معينة، بل كان مدفوعاً إلى هذا الكل الذي هو معان وصور وألفاظ موقعة، ومن هنا كان إبداع الشاعر من حيث هو شاعر إبداعاً نوعياً، فمن المتعذر ترجمة أية قصيدة من لغتها إلى لغة أخرى، ومن المحقق أن النتيجة ستكون شيئاً آخر. ولا يمكن أن تظل

(1) الأسس الفنية للإبداع الفني في الشعر، 305 .
(2) المرجع السابق، 305 .

كما كانت. وكذلك لا يمكن ترجمة القصيدة إلى أي عمل فني آخر، فقد يقال أحياناً أن بتهوفن أحال قصيدة شيلر في (الفرح) إلى سيموفونية رائعة، وهذا خطأ فإن بتهوفن قدم لنا تجربته هو، ولم يقد قصيدة شيلر [1].

ولكن إذا كانت الوثبة تأتي للشاعر كاملة بلفظها ومعناها ومنظمة غالباً إلا أن الشاعر يعاني في انتقاء ألفاظه وتنقيحها وتصحيح جمله، التي تظهر قدرة الشاعر اللغوية وإحساسه بالنسيج اللغوي، فالشاعرة الانجليزية اديث سيتوا تعيب على بعض الشعراء المحدثين ضعف شعورهم بالنسيج اللغوي فتقول: ليس الأثر مقصوراً على أن نسيج البيت الشعري أو نسيج القصيدة لا يدل على شيء في نظرهم بل إن شكل اللفظ ووزنه ... قد أصبح كل منها منسيا. فهؤلاء الكتاب لا يرون للكلمات ظلاً تضفيه، ولا شعاعاً تشعه، وليست تتفاوت في طولها وعمقها، ولا يعرفون أن الكلمة قد تتلألأ كما يتلألأ النجم المنعكس على صفحة الماء، وأن اللفظ قد يكون مستديراً ناعم الملمس كأنه تفاحة [2].

ولكن هذا الإحساس المرهف باللفظ والمعنى عند الشاعر لابد أن يتكون على المدى الطويل من التدريب والدراسة إلى جانب الموهبة، ولكن هذا لا يمنع أن فحول الشعراء قد يخطئون في التراكيب اللغوية منخدعين بموسيقي البيت وأنغام القوافي وأمثلة هذا في الشعر العربي كثيرة. وهذا ما سوف نراه في باب " الضرورة الشعرية " .

الشاعر والنمو اللغوي:

إن الشاعر بما يحدثه من أساليب وتراكيب جديدة في اللغة يعبر ويطور في اللغة، ولهذا يجب علينا دراسة اللغة التي يقال فيها الشعر، ولكن الشاعر محكوم بالنظام اللغوي العام للغة التي يستخدمها في شعره، وهو رغم ذلك ينشئ علاقات لغوية بارعة بين الألفاظ في داخل الجملة، فهو كأديب يلبس اللغة أثواباً جديدة، وذلك بإدخاله عناصر تجديدية فيها بفضل ما يتمتع به من قدرة على إقامة علاقات لغوية جديدة، من ذات لبنات اللغة الموجودة بالفعل، فهو يشبه المهندس المعماري الذي يصمم لتشييد عمائر جديدة مبتكرة، ولكن باستخدام الخامات نفسها التي استخدمت في تشييد العمائر، التي سبق أن شيدت[3]ولغة الأدب في منزلة وسطى: فلا هي لغة اصطلاحية ولا هي لغة الحياة اليومية. وميزتها على كلتيهما الابتكار الفردي الذي يكسب اللغة مرونة وقدرة على التجدد والنماء [4] فالشاعر يوسع في اللغة وينمي فيها، وأكثر أمثلة الاتساع تدخل في باب المجاز عند البلاغيين ... وشأن المجاز عظيم في الإبداع اللغوي [5] .

واللغة ليست نظاماً هندسياً محكماً، ولو كانت كذلك لتوقفت عن الحياة، وخلت من الإبداع ... فالعربية الجارية في عصرنا أبدعت ما لا حصر له

---

(1) المرجع السابق، 303 .
(2) نقلاً عن الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر، 304 .
(3) سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب، 185 .
(4) اللغة والإبداع، 108 .
(5) المرجع السابق، 111 .

من الكلمات، وبقيت لغة عربية. وهذه عينه محدودة: القطار – المحطة – السيارة – المقطورة – الطائرة – الحوامة – الرافعة – الترس – المحرك – المصنع – المدفع – الصاروخ – القذيفة ....

فكل هذه الأسماء لم تعد تعني ما كانت تعنيه قديماً. ولكنها انتقلت إلى المعنى الجديد عن طريق المجاز، أو إطلاق اسم الجنس على النوع وكلاهما شائع في كلام العرب. ومنها كلمات كانت مهجورة فأحياها المعنى الجديد، مثل كلمة (القطار) وأصلها من قطر الإبل يقطرها أي جعلها على نسق والقطار كما يبدو من شرح اللسان مصدر أطلق على الإبل التي تكون على هذه الصورة [1].

يقول د. رمضان عبد التواب: وهذا الأمر تعرفه العربية منذ فجر الإسلام ويكفي أن تطالع كتاباً ككتاب (الزينة في الكلمات الإسلامية) لأبي حاتم الرازي لتعرف أن مثل هذا التطور الدلالي المعتمد أمر معروف جداً في تاريخ اللغة العربية . أما اختيار الأديب للألفاظ، فإننا لا نذهب مع من ذهب إلى ضرورة إحياء الغريب الوحشي من الألفاظ والعبارات في الاستعمال، وإن كنا ننادي بضرورة دراسة هذه الثروة اللفظية القديمة بغرض الاتصال بتراثنا اللغوي المجيد، شعره ونثره[2].

ولكن إلى أي مدى يستطيع الشاعر أن يحقق ذلك ؟ وإلى أي مدى يمكن للشاعر أن يجدد في اللغة وهل الباب مفتوح على مصراعيه لهذا الغرض فيُدخل فيه الشاعر ما شاء، هذا ما نحاول التعرف عليه في باب الضرورة الشعرية والانفعال .

الفصل الرابع

الضرورة الشعرية والانفعال

أجاز النحاة للشاعر ما لم يجيزوه لغيره من أصحاب فنون القول؛ من الخروج على كثير من قواعد اللغة العربية، حتى أنهم أجازوا له نصب الفاعل ورفع المفعول وغير ذلك، ثم اعترض عليهم فريق آخر من النحاة وقالوا: إن هذا العمل يدل على ضعف لغوي، وعدم تمكن من اللغة وقواعدها؛ ولكن هذا القول لنا عليه مآخذ. فالشاعر عند وقوعه تحت طائلة الانفعال بحدث ما يعايشه ويندمج فيه، ويغرق في هذا الانفعال فإنه – ولا شك – مغمور في بحر هذا الانفعال الذي ينسيه مراعاة الدقة في قواعد اللغة، ولهذا نري كل الشعراء يكتبون انفعالهم في التو واللحظة، ثم يعاودون النظر في تلك المسودات بالتنقيح والتهذيب لتخرج للمستمع في صورتها الأخيرة، بل إن بعضهم يداوم المراجعة والتصويب لعمله مدة عام كامل فيما يُعرف بالحوليات كما لدى زهير وغيره من شعراء الجاهلية

(1) المرجع السابق، 110.

(2) دراسات وتعليقات في اللغة، د. رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، 1994م، 217.

الذين لا يملكون وسيلة لتسجيل أشعارهم غير الذاكرة، فهم بطبيعة الحال مضطرون للحفظ ومعاودة النظر في قصائدهم حتى تصل إلى مستوى فحولتهم .

ونقف مع هذه القضية لنعرف ما سبب هذا الخطأ الذي نجده في شعر كثير من الشعراء حتى شعراء الجاهلية، وما قاله النحاة دفاعاً عن هؤلاء الشعراء المخطئين. بادئ ذي بدء نقول مع الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب: وليس في اللغة صواب مطلق، ولا خطأ مطلق، وإنما هي مسألة عرفية بحتة، فالخطأ اللغوي هو مخالفة المألوف الشائع من الكلام في عصر من العصور، لمن يتكلم بلغة ذلك العصر؛ فلو أننا قلنا مثلاً في لغة التخاطب المصرية اليوم: كنا إمبورح في عرس بنت الجيران، بمعنى كنا بالأمس في عرس ابنه الجيران لكنا مخطئين بالنسبة للغة العامية .

وكذلك الحال بالنسبة للغة الأدبية في عصور الفصاحة، فلها قوانينها ونظمها، ومن خالف هذه القوانين، وتلك النظم، فهو مخطئ بالنسبة لهذه ولتلك ما دام يتكلم بلغة هذه العصور كهؤلاء الشعراء الذين يحتج بشعرهم، أم من أهل العصور اللاحقة، التي تقلد لغة تلك العصور القديمة [1] فإذا كان الصواب في اللغة ليس مطلقاً، بل إن الخطأ احتمال وارد على لسان كل متكلم، وهذا الخطأ يعرف بأنه هو الخروج عن المألوف أو الشائع والمستخدم في لغة هذا العصر، فإننا – انطلاقاً من هذه القاعدة – يجب أن نعيد النظر فيما قاله اللغويون العرب حين عدوا كل ما جاءنا عن العرب صحيحاً، وهربوا من تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية. فتكلموا عن الضرورة والشاذ والقليل والنادر وغير ذلك [2].

لا بد أن نعرف في بداية الحديث أن اللغة في الجاهلية – مثل ما نحن عليه في لغتنا الآن – تحتوي على أكثر من مستوى من مستويات الكلام، فكان هناك الشعر والأدب الذي يلتزم مستوى معين يعرف بالفصيح وتسمى لغته بالفصحى، وأن هناك مستوى آخر هو مستوى الكلام اليومي، أو ما يعرف في عصرنا بالعامي. وأن الشاعر أو الأديب في أدبه يلتزم المستوى الفصيح غير أنه تغلب عليه أحياناً بعض ألفاظ وتراكيب المستوى الثاني؛ فتدخل في شعره، ويحاول أن يتخلص منها بتنقيح شعره ومعاودة النظر فيه، غير أنه لا يخلو من بعض هذه العلامات لذلك المستوي الأدنى، والتي حاول النحاة واللغويون إيجاد مبرر لها تحت عنوان الشاذ والنادر والقليل والضرورة. وما هي إلا آثار لذلك المستوى الثاني .

---

(1) ذم الخطأ في الشعر، لابن فارس اللغوي، تحقيق د. رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، 1980م، 3 .

(2) نفس المرجع، 3.

ولهذا يقول أ. د. رمضان عبد التواب: والحقيقة أنه لا بد من إعادة النظر مرة أخرى، في قواعد اللغويين والنحاة، وتخليصها من هذه النوادر، التي تخالف القواعد المطردة، التي تشرق بوجهها الناصع، في جمهرة النصوص المروية لنا عن العرب القدماء في شعرهم ونثرهم، والقرآن الكريم على قمة هذه النصوص، يؤيدها، ويعين على تخليصها مما شابها من صنعة النحو، وجدل النحاة واللغويين، الذين أجازوا مثلاً: نصب الفاعل والمفعول معاً، اعتماداً على قول من قال :

قد سَلَمَ الحياتِ منه القَدَمَا
الأفعوانَ والشُّجاعَ الشَّجْعَمَا

مع أنه شاهد وحيد فريد، إن صح أن عربياً قد قاله بالفعل. غير أن النحاة واللغويين العرب، عز عليهم تخطئة الشعراء الأقدمين، وهم عندهم أصحاب اللغة الذين لا يخطئون، مع مخالفتهم الصريحة في هذا البيت أو ذاك، لمئات الآلاف من أبيات الشعر عندهم، بها الظاهرة اللغوية صحيحة مطردة، لا أمت فيها ولا اعوجاج [1].

ولكني أقول قبل أن نخلص هذه اللغة من النادر والشاذ والقليل والضرورة نسأل عن سبب هذا النادر والشاذ والقليل في لغتهم ما الذي أوجده؟ هل لأنهم تعمدوا مخالفة تلك القواعد المطرودة أو مخالفة سليقتهم وما اعتادوا عليه في نطقهم ؟

والحقيقة أن سليقتهم هي التي تغلبت عليهم، فالسليقة هي ما اكتسبه الإنسان من لغة قومه (اللغة الأم mother language)، وهي التي لو حاول الخروج عليها فإنه يخطئ، وهذا الخطأ الذي يعتبره أبناء البيئة اللغوية للشاعر خطأ؛ هو مستوى آخر للكلام، هو المستوى الفصيح وهو أيضاً لغة الأدب لآلاف من الأدباء، وفي الوقت نفسه فإن ما يعتبره اللغويون نادراً وشاذاً وقليلاً؛ هو في الحقيقة عودة إلى السليقة، أو قل سيطرة السليقة ولغة البيئة اللغوية للشاعر على شعره وأدبه، لهذا يجب على الشاعر أو الأديب التخلص من خصائصه اللهجية أو السليقية عند قوله الشعر أو الأدب لاعتباره خطأ يعاب به الشاعر أو الأديب، إذا لم يستطع التخلص من هذه الخصائص اللهجية بدلاً من إيجاد العذر له بالقول بالنادر والقليل والشاذ .

ويوافقني في هذا الرأي القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني حين أفرد بابا في كتابه " الوساطة بين المتنبي وخصومه " لهذا الأمر بعنوان (أغاليط الشعراء) يقول فيه: ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه، أما في لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه ؟ ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم. واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترزلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظن

(1) ذم الخطأ في الشعر، 5 .

الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفي الظفة عنهم، فذهبت الخواطر في الذيب عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام .

" وما أراك – أدام الله توفيقك – إذا سمعت قول امرئ القيس :

أيا راكبا بَلِّغَ إخواننا مَن كان من كِندة أو وائل

فنصب (بلِّغ) وقوله :

اليوم أشربْ غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

فسكن (أشربْ) وقوله :

لها مَتْنتان خَظَاتا كما اَكَبَّ على ساعديه النمر

فاسقط النون من (خظاتا) لغير إضافة ظاهرة [1].

ثم يقول بعد أن ذكر كثيراً من أغلاط الشعراء: ثم تصفحت مع ذلك ما تكلفه النحويون لهم من الاحتجاج إذا أمكن: تارة بطلب التخفيف عند توالي الحركات، ومرة بالإتباع والمجاورة، وما شاكل ذلك من المعاذير الممتحلة، وتغيير الرواية إذا أضافت الحجة وتبينت ما راموه في ذلك من المرامي البعيدة وارتكبوا لأجله من المراكب الصعبة، التي يشهد القلب أن المحرك لها والباعث عليها شدة إعظام المتقدم، والكلف بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد، وألفته النفس[2]. ويأخذ بهذا الرأي أبو هلال العسكري في الصناعتين (وينبغي أن تجتنب ارتكاب الضرورات وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية، فإنها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائة، وإنما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم بقباحتها ولأن بعضهم كان صاحب بداية، والبداية مذلة، وما كان أيضاً تنقد عليهم أشعارهم، ولو قد نقدت وبهرج منها المعيب كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة ويبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها [3].

ويقول أ. د. رمضان عبد التواب: والدليل على هذا الذي نقوله كذلك، أننا نجد من هؤلاء الشعراء من إذا فطن بخطئه، أو فطن هو إليه غيره، وكلنا نعرف قصة النابغة الذبياني في إقوائه في قصيدته، التي نظمها في المتجردة، زوجة النعمان بن المنذر والتي مطلعها :

أمن آل مية رائح أو مُغْتَدِ عجلانَ ذا زاد وغيرَ مُزوَّدِ

يقول فيها النابغة :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خَبَّرنا الغرابُ الأسودِ

ويزعم الرواة أن النابغة قال هذا البيت بضم الدال من كلمة الأسود، ولكن المعقول أن يكون كسرها؛ لينسجم الروي، وموسيقي الأبيات، ويكون بذلك قد أخطأ في قواعد اللغة، والدليل على هذا ما قال ابن السكيت شارح

---

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومة لعلي بن عبد العزيز الجرجاني، عيسي الحلبي، القاهرة، 1945م، 4، 5.

(2) المرجع السابق، 10.

(3) الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسي البابي الحلبي، القاهرة، 1952 م 156

ديوان النابغة الذبياني، فقد روي عن ابن الأعرابي والأشرم قولهما: بلغنا أن النابغة كان أقوي في قوله: من آل مية رائح أو مغتد، فأورد يثرب فأنشدها، فقالوا له: أقويت، فلم يعرف ما عابوا، فالقوا على فم قنية لهم: وبذلك خبرنا الغراب السود فقالوا لها رتليه ومديه، فقالت: مغتدي، ثم قالت: الغراب الأسود. ففطن " وقد غير النابغة البيت في عقب ذلك فجعل عجزة :

وبذلك تَنْعَابُ الغراب الأسودِ[1]

السؤال الآن: لماذا أقوى النابغة ؟

ولماذا لم يعرف موضع الإقواء إلا عندما نبه إليه ؟

ولماذا غير البيت عندما نبه إليه ؟

أرى أن الشاعر أقوى لأنه خرج من مستوي اللغة الأدبية المشتركة إلى سليقته أو لهجته أي (عامية الشاعر)، وحدث هذا ليس تحت تأثير موسيقى الوزن والقافية فحسب، بل تحت تأثير الانفعال الذي يسيطر عليه، وعلي بمعانيه وأفكاره مع الالتزام بموسيقي أو رتم أو نغم يسير عليه في كل أبيات القصيدة، وانفكاكه دون أن يشعر من قيود اللغة، أو قل المستوى اللغوي الفصيح الذي يسير عليه أثناء إبداعه، والذي ينبغي عليه الالتزام به فتسعفه الذاكرة بلفظة يلبسها فكرة في إطار نغم واحد يسير عليه دون أن يراعي قواعد تلك اللغة من رفع أو نصب أو جر، لأنه بذلك سيحطم النغم الذي يسير عليه، أو قد تهرب منه الفكرة، أو يخبو الانفعال الذي يعيش فيه .

ولماذا لم يعرف النابغة الإقواء إلا عندما نبه إليه، ذلك لأن هذا الانفعال بعد أن خرج منه على تلك الصورة؛ شعر بالراحة لأنه عبر عنه في تلك الأبيات، وفي إطار ذلك النسق من الإيقاع الواحد، فما دامت الفكرة التي في رأسه، والانفعال الذي بداخله قد عبر عنهما، وكذلك الإيقاع قد حافظ عليه، فكل شيء صحيح ولا مجال للخطأ من وجهة نظر الشاعر، ولهذا لا يعرف أو لا يشعر بأن هناك خطأ ما، لأن الذي حدث هو انفلات من قيود اللغة التي ليست سليقته (مائة في المائة) بل هي ما اعتاده من لغة المستوى الفصيح عند قول الشعر، وما حدث هو سيطرة السليقة أو لغته الأم (أي لهجته) عليه التي تخلو من وسائل الإعراب من رفع ونصب وجر (في كثير من الآراء التي تثبت أن العامية في الجاهلية خلت من الإعراب، وقد قال د. إبراهيم أنيس: لم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التي رويت لنا في كتب النحاة؛ وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر، وقد كان الإعراب من الظواهر اللغوية التي عني بها الخاصة من العرب في خطبهم وشعرهم

(1) ذم الخطأ في الشعر، 6، 7

... أما في لهجاتهم ولغة التخاطب بينهم فلا نعلم شيئاً عن قواعد إعرابهم، وعما التزموا في تحريك أواخر الكلمات أو إسكانها [1].

ومما يدل على أن هذا الخطأ خارج عن إدراك الشاعر أو أنه لم ينتبه إليه ما قاله عن هذا البيت " القزاز القيرواني " وهذا من أقبح العيوب، لأنه إنما جاء في شعر العرب على الغلط وقلة المعرفة به، وأنه يجاوز طبعه، ولا يشعر به، ألا تري أن النابغة غني له به، فلما سمع اختلاف الصوت بالخفض والرفع، فطن له ورجع عنه [2].

وهذا القول يوضح أن الشاعر عندما يخطئ لا يشعر بذلك، إذن هناك شيء آخر يسيطر على فكر الشاعر وعقله لحظة الإبداع ألا وهو الانفعال الذي يعيش فيه، فالحالة الانفعالية تجعله يسرع في التعبير عن ذلك بأبسط لغة وأيسرها على لسانه؛ ومن هنا يأتي الخطأ أو الخروج عن قواعد وقيود اللغة الفصحى.

ويقول د. رمضان عبد التواب: والدليل عندنا على أن الشاعر كان يحفو بموسيقى الشعر والقافية ولا يأبه بالنظام اللغوي، دون شعور منه أحياناً، ما قاله محمد بن سلام الجمحي في تعليقه على بيت الفرزدق، وعبارته: وقال أبو عمرو بن العلاء: لا أعرف له وجهاً، وكان يونس لا يعرف له وجهاً، قلت: لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه، قال: لا كان ينشدها على الرفع، وأنشد فيها رؤبة بن العجاج على الرفع [3].

وقد غير النابغة البيت لأنه علم بعد أن نبه إلى ذلك أنه خرج على قواعد اللغة، أو المستوي الذي ينبغي أن يسير عليه في أبياته، وأن هناك سلطانا كبيرا لقواعد ذلك المستوى عليه فتراجع عند ذلك العمل، ويؤكد هذا ما روى في ديوانه برواية الأصمعي ففطن ولم يعد يقوى[4]. وفي طبقات فحول الشعراء: فلما قالت: الغراب الأسود ... علم وانتبه فلم يعد فيه[5].

ويقول النابغة عن نفسه: قدمت الحجاز وفي شعري ضعة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس[6] أي أنه التزم الصواب أو المستوي الفصيح طوال حياته بعد هذا الإقواء الذي نبه إليه .

ولكن هناك شاعر آخر يقوى أيضاً وهو الفرزدق، وكان يخضع أحياناً لهذا التنبيه والتوجيه كما قال ابن سلام الجمحي: وأخبرني يونس، إن ابن أبي إسحاق قال للفرزدق في مديحه يزيد بن عبد الملك :

---

(1) في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، الأنجلو، القاهرة، 1965م.82 .

(2) ضرائر القزاز، 56 .

(3) فصول في فقه اللغة العربية، د. رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، 1980م، 165.

(4) ديوان النابغة الذبياني، صيغة ابن السكيت، تحقيق شكر فيصل، بيروت، 1968م، 90.

(5) طبقات فحول الشعراء،، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق شكري فيصل، بيروت، 1968م 68.

(6) المرجع السابق، 68.

مستقبلين شمال الشأم تضربنا بحاصب كنديفِ القطن منثور

على عمائمنا يلقي وأرحلنا على زواحف تَزْجي مخَها رير

قال ابن أبي إسحاق: أسأت، وإنما هي رير، وكذلك قياس النحو في هذا الموضوع وقال يونس: والذي حسن جائز؛ فلما ألحوا على الفرزدق قال على زواحف نزجيها محاسير. قال: ثم ترك الناس هذا ورجعوا إلى القول الأول (1).

فالفرزدق عندما نبه إلى هذا الخطأ وألحوا عليه استجاب لهم وصوَّب الخطأ، أي إنه كان معارضاً لتصويب هذا الخطأ، وقد وقف كثير من علماء العربية لهؤلاء الشعراء بالمرصاد وعابوا عليهم هذا الخروج على قواعد اللغة، بل نرى بعضهم يكاد يضرب بعصا قوية على يدي هؤلاء الشعراء، بل كادوا أن يتشاجروا معهم كما فعل ابن فارس في كثير من مؤلفاته اللغوية، فيقول في الصاحبي: ولا معني لقول من يقول: إن للشاعر أن يأتي في شعره بما لا يجوز .. وما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الخطأ والغلط، فما صح من شعرهم فمقبول، وما أبته العربية وأصولها فمردود (2).

بل إن ابن فارس عاب على سيبويه قبوله الخطأ من الشعراء، فقال: والذي دعانا إلى هذه المقدمة، أن ناساً من قدماء الشعراء، ومن بعدهم أصابوا في أكثر ما نظموه من شعرهم، وأخطئوا في اليسير من ذلك، فجعل ناس من أهل العربية يوجهون لخطأ الشعراء وجوها ويتحملون لذلك تأويلات حتى صنعوا فيما ذكرناه أبواباً، وصنفوا في ضرورات الشعر كتباً، فقال من العلماء بالعربية، في باب الترجمة بما يحتمل الشعر(3)، وأعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام واستعمل محذوفاً، ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقص ... قال: وليس شيء يضطرون إليه، إلا وهم يحاولون له وجهاً، وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره، هذا كله قول سيبويه .

قال ابن فارس: فيقال لجماعتهم: ما الوجه في إجازة ما لا يجوز إذ قاله شاعر ؟ وما الفرق بين الشاعر والخطيب والكاتب ؟ ولم يجوز لواحد منا أن يقول لآخر: لست أقصدك ولكن اقصدني أنت، وأن يقول لمن يخاطبه: (فعلت هذا كما فعلت أنت كذا ؟ فإن قالوا: لأن الشعراء أمراء الكلام، قيل: ولم لا يكون الخطباء أمراء الكلام ؟ وهب أنا جعلنا الشعراء أمراء الكلام، لم أجزنا لهؤلاء الأمراء أن يخطئوا ويقولوا ما لم يقل غيرهم ؟

---

(1) طبقات فحول الشعراء، 17 .

(2) الصاحبي، في فقه اللغة لابن فارس اللغوي، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، 1977م، دار إحياء الكتب، فيصل عيسي البابي الحلبي، 75.

(3) يقصد بذلك سيبويه والباب في الكتاب 8/1 – 13 .

فإن قالوا: إن الشاعر يضطر إلي ذلك ؟ لأنه يريد إقامة وزن شعره، ولو أنه لم يفعل ذلك، لم يستقم شعره قيل لهم: ومن اضطره أن يقول شعراً، لا يستقيم إلا بأعمال الخطأ؟ ونحن لم نر ولم نسمع بشاعر اضطره سلطان أو ذو سطوة بسوط أو سيف إلى أن يقول في شعره ما لا يجوز أو ما لا تجيزونه أنتم في كلام غيره، فإن قالوا: إن الشاعر يعِنُّ له معنى، فلا يمكنه إبرازه إلا بمثل اللفظ القبيح المعيب، قيل لهم: هذا اعتذار أقبح وأعيب. وما الذي يمنع الشاعر إذا بني خمسين بيتاً على الصواب، أن يتجنب ذلك البيت المعيب ولا يكون في تجنب ذلك ما يوقع ذنباً أو يزري بمروءة ؟ .... إن الشعراء يخطئون كما يخطئ الناس، ويغلطون كما يغلطون، وكل الذي ذكره النحويون في إجازة ذلك والاحتجاج له جنس من التكلف، ولو صلح ذلك لصلح النصب موضوع الخفض والمد موضوع القصر كما جاز عندهم القصر في الممدود [1].

وكما نرى هذا الرد الشديد لابن فارس على احتجاج النحاة للشعراء والتحمل لأخطائهم أنه ضرب من التكلف، بل يجب أن نعترف بأن أخطاءهم أخطاء، وليست ضرورة شعرية، وأن على الشعراء تصويب هذا الأخطاء .

ولكن ما الذي يضطر الشاعر إلى مثل هذه الأخطاء ؟

يقول أ. د. رمضان عبد التواب: الضرورة الشعرية ليست إلا مخالفة للمألوف في الشعر والنثر، بسبب انشغال الشاعر في كثير من الأحيان بالموسيقى الشعرية في الوزن والقافية، وفي موضع آخر يقول: لا يصح أن يقاس على الضرورة الشعرية في نظرنا والضرورة الشعرية عند جمهور العلماء العرب عبارة عن مخالفة المألوف من القواعد في الشعر سواء لجأ الشاعر إلى ذلك بالوزن أو بالقافية، أم لم يلجأ ..

وهم بهذا التعريف يبعدون بالضرورة الشعرية عن معناها اللغوي، وهو الاضطرار، مما يجعل قبول رأيهم هذا ضرباً من إلغاء التفكير المنطقي، والتحكم بغير دليل أو برهان؛ فإن الضرورة الشعرية في نظرنا ليست في كثير من الأحيان إلا أخطاء غير شعورية في اللغة، وخروجاً على النظام المألوف في العربية، شعرها ونثرها، بدليل ورود الآلاف من الأمثلة الصحيحة في الشعر والنثر على سواء، غاية ما هنالك أن الشاعر يكون منهمكاً ومشغولاً بموسيقى شعره، وأنغام قوافيه، فيقع في هذه الأخطاء، من غير شعور منه [2].

ولكن ليس بسبب الوزن والقافية فحسب يخطئ الشاعر هذه الأخطاء غير الشعورية منه، بل إن السبب أن الشاعر يكون في حالة من الانفعال تسيطر على شعوره وتنسيه – إن لم ينتبه – قواعد اللغة التي يتحدث بها

(1) ذم الخطأ في الشعر، 19– 20 .

(2) ذم الخطأ في الشعر، 6 .

في شعره وهي الفصحى، وتلقي به في أحضان لهجته أو المستوي الثاني للكلام وهو العامية، ولهذا يجب علينا دراسة لحظة الإبداع عند الشاعر وما ينتابه من تغيرات فسيولوجية ونفسية وفكرية؛ تجعله لا يشعر بخطئه عند إبداع قصيدة ما فالضرورة الشعرية ليست إلا أخطاء غير شعورية في اللغة نتيجة لوقوع الشاعر تحت تأثير الانفعال بموضوع القصيدة .

إن هذا التأثير للانفعال هو الذي يحرك لغة المتكلم، ويسيطر عليها وبوجهها، قبل لغة المبدع، وما نراه من تلجلج وتلعثم في كلام كثير منا عند شجاره أو غضبه، ما هو إلا تأثير للانفعال علينا وعلى لغتنا، بل إنه كما ذكرت في بداية الحديث عن الانفعال – له تأثير فسيولوجي على جسم المتكلم، يقول د. حمدي الفرماوي: إن للانفعال توابع، أو تصاحبه تغيرات فسيولوجية ومورفولوجية الأولى: تتعلق بما يصاحب الانفعال من إفراز للهرمونات أو تقلص للعضلات أو زيادة في ضغط الدم أو التشنجات العصبية، والثانية: تتعلق بالجانب المورفولوجي، الذي يشير إلى ما يصاحب الانفعال من تغير في ملامح الوجه، مثل إحمرار العين والوجه وتقطيب الجبين وتغير لون الشفاه وقد يصاحب الانفعال بعض الحركات الجسمية، سواء كانت حركة يد، أو وجه أو أرجل أو شفاه، لينتج عن ذلك إشارات أو ألفاظ، أو رد فعل حركي معين [1].

وإذا كان هذا حال الإنسان العادي عندما يتعرض لانفعال ما؛ يصاب بكل هذا الكم من التغيرات، فما بالنا بشاعر مرهف الحس شديد التأثر بكل ما يحدث حوله من أحداث، كيف يكون حاله عندما يحاول التعبير عن هذا الانفعال ؟ إنه بلا شك يفقد كثيرا من سيطرته على الأشياء التي يملكها ويحسن التصرف معها وعلى رأسها وفي بدايتها اللغة، ذات القواعد والقيود، التي يجد الشاعر نفسه بين طرفي الرحي، بين انفعال يكاد يفجره كلما تفجر داخله، فآثار معاني وأفكاراً لا حصر لها، حتى إن قلمه لا يكاد يلحق بهذا السيل من المعاني والأفكار المنطلقة أو المنبعثة من داخله، وبين لغته ذات القواعد والقيود التي تكبل هذا السيل وتكفكف جماحه، فيسرع إلى قلمه تاركاً كل ما حوله من أشياء ويكتب ثم يكتب حتى يصب في أوراقه كل ما لديه من انفعال. ثم يعود فينظر فيما كتب وينقح ويصوب عمله حتى يخرج في صورته المعروفة لنا، ولا يوجد شاعر بحق لا يمر بهذه المراحل، ولا يوجد شاعر لا يستخدم المسودات، حتى ذلك الشاعر الذي يرتجل قصائده، فإنه بعد أن ينتهي من ارتجاله فإنه يعاود النظر في قصائده المرتجلة بالتنقيح والتصويب والإضافة والحذف .

---

(1) البناء النفسي للإنسان، 150 .

وما نراه من أخطاء لدى الشعراء القدامى كامرئ القيس والنابغة وغيرهم ما هو إلا صورة لذلك الانفعال الذي يخرج من الشاعر في شكل أبيات، لكنها لا يصيبها كثير من التنقيح؛ ولهذا تأتي إلينا بصورتها المرتجلة؛ بدليل أن الشاعر إذا نبه إلى ما فيها من أخطاء فإنه يصلح هذا، أي أنه لو أعمل في تلك أخطاء فكره من البداية وقبل أن يلقيها على مستمعيه؛ فإنه لا يحتاج إلى أن يوجه أو يوصف بالإقواء في شعره .

آثار الضرورة على اللغة:

إن الشاعر قد يضطر لكي يحافظ على الوزن والقافية في إطار الانفعال الذي يسيطر عليه إلى الخروج عن قواعد النحو، وإن كان بعض النقاد القدماء يرون أن الشاعر كان يخالف موسيقى القافية لكي يصحح النحو، وهذا ما يسمونه الإقواء في نظرهم[1]، يقول قدامه بن جعفر وهو يتحدث عن عيوب القافية: "ومن عيوبها الإقواء، وهو أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعة مثلاً، وأخرى مخفوضة، وهذا في شعر الأعراب كثير، وفي من دون الفحول من الشعراء، قال إسحاق: قلت ليونس: عبيد الله بن الحر يقوي، فقال: الإقواء خير منه، وقد ركب بعض الفحول الإقواء في مواضع، مثل ما قال سحيم بن وثيل الرياحي :

عَـذَرْتَ البْـزل إن هـي خـاطرتني فمـا بـإلي وبـالُ ابـن اللبُـونِ

ومـاذا يـدّري الشـعراءُ منـي وقـد جـأوزتُ رأس الأربعـينَ

فنون الأربعين مفتوحة، ونون اللبون مكسورة، ولكنه كأنه وقف القوافي فلم يحركها، وقال جرير :

عُـرينٌ مـن عُرينـةَ لـيس منـا برئـتَ إلـي عُرينـة مـن عـرين

عَرَفنـا جعفـرا وبنـي عُبيـد وأنكرنـا زعـانف آخرينـا[2]

من مظاهر هذه الأخطاء اللغوية التي يقع فيها الشاعر بسبب الوزن والقافية:

1- يجيز النحاة له كسر نون جمع المذكر السالم بعد الياء في الشعر كما في البيتين السابقين، وتسكين بعض الكلمات كما في قول امرئ القيس :

فـاليوم أشـربْ غيـر مسـتحقب إثمـا مـن الله ولا واغـل

ويجيز له سيبويه ذلك ويرى أن ذلك شبيه بتسكين عين نحو: فخذ وعضد عند من يسكنها فيها فيقول: وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر، شبهوا ذلك بكسرة فخذ، حيث حذفوا فقالوا: فخذ،

(1) فصول في فقه العربية، 166 .

(2) نقد الشعراء، لابن قدامه بن جعفر، تحقيق بونيباكر ليدن، 1956 م .: 109 .

وبضمة عضد حيث حذفوا فقالوا: عضد لأن الرفعة ضمة والجرة كسرة [1].

يقول د. رمضان عبد التواب رداً على هذا التعليل: تعليل سيبويه للتسكين في مثل هذه الأبيات لأن الشاعر عنده لا يخطئ، ولا يضحي بالإعراب في سبيل موسيقي الشعر، ذلك ما لم يخطر لسيبويه على بال، ولذلك راح يتأول هذا التسكين، ويلتمس له نظيراً بين لهجات القبائل [2].

إذن هذا التسكين رضيه النحاة لتصح موسيقى الشعر، ولكنه ليس إلا التزام بموسيقى شغلته عن ضبط آخر الكلمة في إطار انفعال يسيطر على فكره، كما نري في الشاعر العامي (شاعر الربابة) في هذه الأيام الذي يلتزم إيقاعا واحدا على آلته البسيطة، ويقول الشعر ارتجالا؛ فتخرج لنا كلماته على أوزان غريبة أو جديدة يخضعها لذلك الإيقاع الذي يوافق ذلك الانفعال

وقد يحدث العكس بأن يحرك الساكن من أجل الوزن ومن ذلك ما رواه أبو زيد الأنصاري من قول الشاعر :

مـن أيِّ يَـوْمَيَّ مـن المَـوْتِ أفـرْ أيَـوْمَ لـم يُقـدَرَ أمْ يَـوْمَ قـدِرْ[3]

فهو يري أن الشاعر هنا فتح الراء من " يقدر " وحقها الجزم بلم، لأنه أراد النون الخفيفة فحذفها، أي أن هذا الفعل مؤكد بنون التوكيد الخفيفة التي حذفت وبقيت الفتحة في الفعل دليلاً عليها .

ويقول أ. د. رمضان عبد التواب: ثم لا يعترف ابن جني بعد ذلك بالضرورة، التي ألجأتْ هذا الشاعر إلى نصب المجزوم، بل يرتكب مشقة كبيرة في التخريج والتأويل؛ فيقول: لكن القول فيه عندي أنه أراد (أيومَ لم يقدرْ أم يوم قُدِرَ) ثم خفف همزة (أمْ)، فحذفها وألقى حركتها على راء: (يقدر)، فصار تقديره: (أيوم لم يقدر م) ثم أشبع فتحة الراء، فصار تقديره (أيوم لم يُقْدَرَ أمْ)، فحرك الألف لالتقاء الساكنين، فانقلبت همزة، فصار تقديره: (يُقدر أم)، واختار الفتحة، إتباعا لفتحة الراء [4].

وتشمل الضرورة الشعرية من جانب بنية الكلمة أيضاً فيصيبها بالتغيير والتحول، مثل تقصير الحركات الطويلة كقول رؤبة بن العجاج:

وصاني العجاج فيما وصني

وكقول الأعشى :

وأخـو الغـوان متـى يشـأ يَصْـدر ويُكّـــنَ أعـــداءً بعيـــد ودادِ

---

(1) الكتاب لسيبويه: تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، 1966م 297/2 .

(2) فصول في فقه اللغة، 176 .

(3) النوادر في اللغة: لأبي زيد الأنصاري، نشرة سعيد الشرتوني، بيروت، 1984 م 13 .

(4) فصول في فقه العربية، 176 .

وهناك أمثلة أخرى على ذلك كما في وصاني > وصني، والغواني > الغوان، فقد اضطر الشاعر إلى تقصير هذه الحركات الطويلة، لكي يحتفظ بموسيقى الوزن. وكما تقصر الحركات لضرورة الوزن، فإنها تطول أحيانا لهذا السبب أيضاً كما قال الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ نفي الدراهيم تنقاد الصيارف[1]

وقال أبو زبيد :

لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات في أيدي الصيارف[2]

في هذه الأمثلة أصبحت الدراهم > الدراهيم، الصيارف> الصياريف .

كما أن الضرورة الشعرية أدت إلى ظهور صيغ جديدة في اللغة وقد وضعها أصحاب المعاجم العربية في معاجمهم جنباً إلى جنب مع الصيغ الأصلية، يقول الجوهري: الدرهم فارسي معرب، وكسر الهاء لغة، وربما قالوا: درهام[3]. وقد أشار ابن منظور إلى سبب هذا التطور بأنه بسبب الضرورة يقول: والمعروف: الكلكل، وإنما جاء الكلكال في الشعر ضرورة في قول الراجز:

أقولُ إذ خرَّت على الكلكال يا ناقتي ما جُلَّتِ من مجال[4]

ومن هذه الأمثلة نرى أن التغيير شمل تراكيب الجملة وبنية الكلمة، وهذا التغيير جعل النحاة يسارعون بإيجاد تعليل أو تخريج لهذا التغيير؛ لأنهم يرون أن الشاعر لا يخطئ، رغم اعتراض بعضهم على هذا الرأي بأن هذا التغيير هو خطأ من الشاعر ليس إلا .

ولكن هذا التغيير أو الخطأ ـ كما يرى بعضهم – هو نتيجة لانفعال سيطر عليه أثناء إلقاء القصيدة؛ فهو يحافظ على الوزن والقافية والموسيقى التي ينبع منهم، وعندما تعارضت تلك الموسيقى مع حدود وقواعد اللغة؛ فإننا نجده في الغالب يرجح كفة الموسيقى أو الوزن والقافية وأحيانا أخرى يرجح قواعد اللغة ومع هذا فإن الشاعر عندما يرجح كفة الوزن والقافية فإنه يفيد اللغة ويثريها.

---

(1) الأمالي، لابن الشجري، حيدر آباد، الدكن بالهند، 1349هـ 221/1 .

(2) ديوانه، 2/38 .

(3) الصحاح، مادة (دراهم)، 5/ 1918.

(4) لسان العرب، مادة (كلل)، 117/14.

الباب الثاني

التعبير القرآني عن الانفعال

الفصل الأول: انفعال الخوف

الفصل الثاني: انفعال الغضب

الفصل الثالث: اللغة والتعبير القرآني عن الانفعال

التعبير القرآني عن الانفعال

تقديم:

إن دراسة التعبير القرآني عن الانفعال أو كيف عبر النص القرآني عن المواقف الانفعالية التي وردت فيه؟ يحتاج إلي بحوث ودراسات مستقلة نظرا لتعدد الآيات التي وردت فيها تلك الصور الانفعالية في القرآن؛ وكذلك كثرة طرق التعبير عنها وتنوعها فالقرآن الكريم كتاب الله إلي البشرية جمعاء، وهو نص مكتوب، الأصل فيه أن يُقْرأ ويتلى آناء الليل وأطراف النهار؛ جمع بين اللغتين المنطوقة والمكتوبة، وردت فيه عبارات تصور انفعالات كثيرة؛ يقوم القارئ المُجيد من خلال قراءته لها واستحضاره لمعانيها بنقل مشاعر وأحاسيس أصحاب تلك العبارات؛ فيحولها إلي نص منطوق، كأنه صادر الآن من هؤلاء القوم أصحاب تلك العبارات الانفعالية. وأحاول من خلال هذه الدراسة أن أحلل بعض تلك العبارات، وأبين ما تحمله من انفعالات؛ وكيف استطاعت اللغة بوسائلها المختلفة تصوير تلك الانفعالات علي اختلافها.مع الاستعانة بالدراسات النفسية والعصبية وما قدمته من وصف وتحليل وتفسير في مجال الانفعالات علي اختلافها.

المنهج في تحليل مفهوم الانفعال في القرآن الكريم:

أحاول تقديم تحليل جديد للانفعال في ضوء رؤية أوسع لمفهوم الانفعال، تستعين بتلك العلوم المختلفة، وتستهدي بجهود هؤلاء العلماء، فقمتُ بما يأتي:

1- التعريف بهذا الانفعال وخصائصه في ضوء علم النفس.وعلم الأعصاب.

2 ـ دراسة وتحليل الآية التي ورد بها هذا الانفعال في الخطوات الآتية:

أ ـ مع المفسرين: نذكر إشاراتهم في تفسيرهم للجانب النفسي واللغوي للانفعال.
ب ـ تفسير الآية في ضوء علمي النفس والأعصاب، ومقابلته بقول المفسرين.
ج ـ اللغة: بيان دور اللغة في إبراز الصفات الدقيقة لهذا الانفعال كما وصفه علماء النفس وعلماء الأعصاب، ومدى مطابقة التعبير القرآني في وصفه لذلك.

أنواع الانفعال في القرآن:

ليس الانفعال مقصوراً علي الغضب كما يظن؛ بل إنه يشمل كل وجدان حاد كالخوف والفرح والحزن والأسف والندم والحقد والحسد والأمل والتفاؤل والتشاؤم، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه قلما تمر علي الإنسان لحظة دون أن يكون في حالة انفعال ظاهر أو مقهور، حاد أو ضعيف" [1]

وقد "جاء في القرآن الكريم وصف دقيق لكثير من الانفعالات التي يشعر بها الإنسان مثل الخوف، والغضب والحب والفرح والكره والغيرة والحسد والندم والحياء والخزي" [2] كان الغرض من وجود هذه الانفعالات داخل كل إنسان أن تزوده هو والحيوان بانفعالات تعينهما علي البقاء علي قيد الحياة.

وقد صنف علماء النفس[3] الانفعالات التي وردت في القرآن إلي أصناف حسب:

1ـ شدة الانفعال.
2ـ رد الفعل المنعكس للمنفعل.
3ـ المظاهر البدنية المصاحبة للانفعال.

هذه الدراسة:

وسأتناول هنا أكبر وأهم انفعالين وردا في القرآن الكريم، وهما: الخوف والغضب، لتصبح هذه الدراسة قاصرة علي انفعال الخوف وانفعال الغضب؛ لأنهما أكثر الانفعالات ذكرا في القرآن، كما أن النص القرآني تعرض لمواقف تابعة لهما بالوصف والتحليل الدقيق، مما يستدعي دراسة دقيقة لمعرفة دقة التعبير القرآني، وقد جعلت الفصل الأول لدراسة انفعال

(1) علم النفس التربوي، ج/3، ص 154.
(2) القرآن وعلم النفس، ص 71.
(3) راجع تصنيف الانفعال القرآني في: القرآن وعلم النفس، د.نجاتي والبناء النفسي في الإنسان، د. الفرماوي.

الخوف؛ والفصل الثاني لدراسة انفعال الغضب، والفصل الثالث لبيان الخصائص اللغوية للتعبير عن الانفعالين في القرآن الكريم.

الفصل الأول

انفعال الخوف

هو من الانفعالات الأولية كما ذكر مكدوجل ؛ "وهو أيضا من الانفعالات الهامة في حياة الإنسان لأنه يدفعنا إلي تجنب الأخطار التي تهدد حياتنا، مما يساعدنا علي الحياة والبقاء،... ومن أهم فوائده أنه يدفع المؤمن إلي اتقاء عذاب الله في حياته الآخرة، فالخوف من الله يدفع المؤمن إلي تجنب الوقوع في المعاصي وإلي التمسك بالتقوى.. وانفعال الخوف حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله"[1]، وهو انفعال بسيط يصاحب بعض الدوافع ، مثل دافع العدوان أو دافع الأمن في الوقت الذي يلعب دور الدافعية الموجهة للسلوك" [2].

وقد صنفه د. عثمان نجاتي حسب شدته، وحسب التغيرات التي تصيب الإنسان في وظائفه الفسيولوجية: (ملامح الوجه . نبرات الصوت. هيئة البدن).وحسب رد الفعل المنعكس كالجري السريع والهرب وذكر أنواع الخوف: من (من الله. من الموت. من الفقر. من البطش...)، كذلك التغيرات البدنية التي تصاحب حالة الانفعال، التي تشمل تغيرات في: الوجه والقلوب والعقل والعين وهيئة البدن كله والشعر واليد" [3].

وقد صنفه د. الفرماوي إلى: مظاهر الخوف، وأنواع الخوف، وذكر الخوف كمحرك لدافع السلوك، وكذلك التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للخوف" [4].

وللخوف صور متعددة وردت في القرآن الكريم، جاء تصويرها من خلال عبارات لغوية دقيقة؛ حرص النص القرآني علي وصفه بدقة علي الرغم من تنوعه؛ باستخدام وسائل اللغة المتعددة؛ لتبين الاختلاف بين كل حالة انفعالية.

وقد ورد ذكر الخوف في القرآن الكريم علي صورتين فقط هما:

الصورة الأولي لانفعال الخوف في القرآن:

إن الصورة التي نقصدها هنا لانفعال الخوف في القرآن؛ ما جاءت من تصوير دقيق لانفعال الخوف لحظة حدوثه، فنجده يصف بدقة حالة الانفعال

---

(1) القرآن وعلم النفس،71.

(2) البناء النفسي في الإنسان (دراسة من فيض القرآن الكريم)، ص151.

(3) القرآن وعلم النفس، 71 . 75.

(4) البناء النفسي في الإنسان (دراسة من فيض القرآن الكريم)، 151.

التي يعيشها الفرد بملامحها الداخلية والخارجية كأنها تحدث الآن، فنعيش لحظة ذلك الانفعال مع صاحبها.

الصورة الثانية لانفعال الخوف في القرآن:

لقد ورد في القرآن أخبار كثيرة عن حالة خوف لدي شخص ما (مؤمنا/ كافرا) دون وصف لها، لكنها علي الرغم من كثرتها لا تبين الجانب النفسي واللغوي للخوف؛.لذا جعلت دراستي هنا قاصرة علي الصورة الأولي للخوف، وسأحاول تقديم تحليل دقيق ودراسة متأنية للنموذج الذي يعرض لانفعال الخوف بالتفصيل.في القرآن.

الصورة الثالثة: تصوير انفعال الخوف :

الجانب النفسي: ماذا يحدث للإنسان عندما يأتيه خوف مفاجئ؟ إنه عندما يفاجأ بشيء مخيف ظهر في وجهه بغتة وبصورة غير متوقعة؛ فإن جهازه العصبي يقوم بدفعه بعيدا عن الخطر دون تدخل منه، ويتمثل الجهاز العصبي في" أعصاب الجهاز السمبتاوي الذاتية الذي هو الحارس الأمين، والمدافع اليقظ الذي يتولي المسئولية في حالات الشدة والطوارئ الحقيقية، إذ يرسل المخ في تلك الظروف غير العادية بدفعات حركية إلي مختلف أعضاء الجسم عن طريقها، وحينئذ فهي تتحكم في حالات أربع رئيسية هي: حالات الجهد العنيف أو النشاط المضني، حالات استمرار الألم، حالة تهدد الجسم بالبرد القاسي، عند الخوف أو الغضب الناشئين عن توقع المرء أن يتعرض لواحد مما سبق، وهنا نري أهمية الغضب والخوف لكونهما مصدر الاستثارة الموحدة تشريحيا" [1] هذا الجزء من الجهاز العصبي متمثلا في العصب السمبتاوي لا يتلقى أوامره من الإنسان المنفعل أو المرتعد، ولكنه يعمل بطريقة تلقائية، حيث يصدر أوامره للأعضاء الجسم بالابتعاد فورا عن منطقة الأذى، ولهذا يكون رد فعل الشخص علي ذلك هو الجري سريعا دون تفكير منه أو مجرد النظر خلفه، لهذا سُمى بالانفعال الشديد.

لقد استطاع النص القرآني أن يصور بدقة بالغة حالة الفزع والهلع التي تصيب الفرد نتيجة الخوف الشديد؛ وما يحدث للخائف من تغيرات فسيولوجية وعصبية ولغوية أثناء لحظة خوفه الشديد، ورد الفعل من حركة بالمكان أو الهرب من المكان أو الذهول دون حركة تماما، وقد ورد ذكر وصف دقيق لكل هذه الحالات في مواقف متعددة في القرآن، نحاول تحليلها هنا..فقد قسمتُها علي أقسام هي:

التقسيم الأول: حسب الأشخاص الخائفين إلي: خوف الأنبياء،.خوف المؤمنين، خوف الكفار، خوف الناس عامة.

التقسيم الثاني: حسب سلوك الخائف إلي: سلوك ظاهر (من خلال تغيراته الجسدية الظاهرة)، وسلوك باطن (من خلال تغيرات داخلية لا

(1) علم النفس ودراسة التوافق، 218.

تظهر عليه)، وقد أشار القرآن الكريم إلي الصنفين ووصفهما وصفا دقيقا؛ مما يدفع علماء النفس إلي الإقبال عليه، ليتعلموا منه الجديد الذي يفيدهم في عملهم، كالقدرة التخزينية للانفعال، حيث يستطيع المنفعل أن يخفي انفعاله أو يخزنه ويخرجه فيما بعد، بما يعرف عندنا بكظم الانفعال (غضب أو خوف) وقد مدح الله كاظم غضبه بقوله سبحانه **﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾** [1].

التقسيم الثالث: حول صورة رد فعل المنفعل كسلوك ناتج عن الانفعال:

أ- حركي:كحركة الهرب من المكان أو حركة في المكان نفسه دون الهرب

ب - بلا حركة: يحدث نتيجة الفزع من هول الموقف؛ أن يصيبهم شلل تام، فلا يتحركون ولا ينطقون ولا يفكرون، وتنقطع صلتهم بمركز إدراكهم (المخ).

ثم جاء تحليلي للمواقف الانفعالية شاملاً القسيمات كلها، فتناول الموقف وأصنفه حسب التقسيم الأول، وأضعه أيضا ضمن القسم الذي ينتمي إليه في التقسيم الثاني والثالث، وأبدأ بهذا القسم من التقسيم الأول بهذا الموقف مع بيان موضعه بالنسبة للتقسيم الثاني والثالث.

النوع الأول من انفعال الخوف: خوف الأنبياء :

1- خوف موسى من العصا:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر حركي بالهروب من المكان:

ورد ذكر هذا الحدث في موضعين في القرآن متطابقين تماماً هما:

في سورة النمل قال تعالى: **﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾** [2] .

في سورة القصص قال تعالى: **﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: 31]** .

مع المفسرين:

القرطبي:

قال: (ولَّىَّ مدبرا) خائفا على عادة البشر (ولم يعقب) أي لم يرجع[3].

فوصف سلوك موسى حالة خوفه أنه خاف علي عادة كل البشر؛ لقد أدرك القرطبي أن ما فعله موسي في هذا الموقف الانفعالي تغلبت عليه طبيعته البشرية، كما قال علماء علم الأعصاب عن دور العصب السمبتاوي في الحفاظ علي الإنسان ودفعه بعيدا عن الخطر، كان هذا ما دفع موسي للهرب.

---

(1) آل عمران، 134.

(2) سورة النمل، 27 /10.

(3) تفسير القرطبي، مطبعة دار الريان للتراث، ج7، ص4876.

الشيخ الشعراوي:

قال الشيخ الشعراوي: **﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾** [النمل: 10] فلمّا ألقى موسى عصاه وجدها **﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾** [النمل: 10] يعني: حية تسعى وتتحرك، والعجيب أنها لم تتحول إلى شيء من جنسها، فالعصا عود من خشب، كان فرعًا في شجرة، فجنسه النبات ولما قُطعت وجفَّتْ صارت جمادًا، فلو عادت إلى النباتية يعني: إلى الجنس القريب منها واخضرتْ لكانت عجيبة. أمّا الحق تبارك وتعالى فقد نقلها إلى جنس آخر إلى الحيوانية، وهذه قفزة كبيرة تدعو إلى الدهشة بل والخوف، خاصة وهي **﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾**النمل: 10] أي: تتحرك حركة سريعة هنا وهناك. وطبيعي في نفسية موسى حين يرى العصا التي في يده على هذه الصورة أنْ يخاف ويضطرب **﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأعلى﴾** [طه: 67-68] وحين تتتبع اللقطات المختلفة لهذه القصة تجدها مرة جان ومرة حية ومرة ثعبان، وهي كلها حالات للشيء الواحد، فالجان فَرْخ الثعبان، وله مِن خفة الحركة ما ليس للثعبان،والحية هي الثعبان الضخم، وقوله تعالى: **[ولى مُدْبِرًا]** [النمل: 10] يعني: انصرف عنها وأعطاها ظهره **﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾** [النمل: 10] نقول: فلان يُعقِّب يعني: يدور على عَقِبه ويرجع، والمعنى أنه انصرف عنها ولم يرجع إليها؛ لذلك ناداه ربه سبحانه وتعالى: **[يا موسى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ المرسلون]** [النمل: 10] وعلَّة عدم الخوف **[لاَ تَخَفْ]** [النمل: 10] ليعلمه أنه سيُضطر إلى معركة، فليكُنْ ثابتَ الجأش لا يخاف لأنّه لا يحارب شخصًا بمفرده، إنما جمعًا من السَّحرة جُمِعوا من كل أنحاء البلاد[1].

تحليل عصبي ونفسي للحدث:

قبل أن نبدأ في دراسة انفعال الخوف الشديد عند موسى نسأل سؤالا ذكره القرطبي قبلنا؛ هو هل الأنبياء يخافون؟ قال" قد تقدم في طه وغيرها أن الأنبياء صلوات الله عليهم يخافون، ردا علي من قال غير ذلك، وأن الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه؛ فقيل :أصبح خائفا من قتل النفس أن يؤخذ بها. وقيل خائفا من قومه أن يسلموه. وقيل خائفا من الله تعالى، (يترقب) قال سعيد بن جبير: يتلفت من الخوف"[2].

هذا القول يبين الطبيعة البشرية لأنبياء الله بأنهم يخافون كسائر البشر؛ وأن انفعال الخوف وما يترتب عليه من سلوك كرد فعل لهذا الخوف لم تعصم منه الأنبياء، فلا تعجب من قوله تعالى واصفا حال موسى عند خوفه من العصا **(وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ)** فلا يجوز أن تقول كيف وليَّ رسول الله موسى عندما رأي العصا تتحول إلي حية، بل يجب أن تقول إن انفعال

(1) موقع نداء الإيمان بشبكة الانترنت.

(2) تفسير القرطبي، ج7، ص 4980.

الخوف سيطر عليه؛ فكان رد فعله ـ ككل إنسان وضِعَ في تلك الحالة الانفعالية نفسها ـ أن يجري ولا ينظر خلفه؛ وأن هذا لا يقلل من إيمانه بالله، بل إن ما بداخله من البناء العصبي المزود به كل إنسان جعله يفقد سيطرته علي أعضاء جسمه؛ لأنه في هذه اللحظة يتلقي أوامره من جهة عليا هي العصب السمبتاوي الذي يسيطر عليه ويوجهه؛ فهو يعيش تلك اللحظة ككل البشر عندما يباغتون بشيء مخيف، لذا ولي مدبرا ولم يلتف خلفه مثلهم.

رد الفعل علي انفعال الخوف:

لقد جاء رد فعل موسى علي هذا الخوف والفزع سريعا فظهر في صورتين:

1- فعل لغوي: فلم ينطق بكلمة أو بصيحة ؛ فكان صمته أكبر تعبير عن فزعه، كما تقول العامة (وقع وما حطش منطق) فلم ينطق من شدة فزعه.

2- فعل حركي: انطلق مسرعا بعيدا عن العصا لشدة فزعه منها فلم يلتفت.خلفه،.وتقول العامة أيضا (جري وما بصش وراه) من شدة خوفه.

ويشير د. عثمان نجاتي إلي رد الفعل علي الخوف قائلا" ويستجيب الإنسان عادة لمواقف الخطر التي تهدده وتثير فيه انفعال الخوف بالابتعاد عنها والهرب منها. وقد وصف القرآن استجابة الإنسان بالهرب من المواقف المهددة بالخطر والمثيرة للخوف...ووصف القرآن أيضا خوف موسي عليه السلام حينما رأي عصاه تنقلب إلي حية فولي هاربا[1]"

التحليل اللغوي للحدث:

جاء البناء اللغوي للعبارة في الآيتين متطابقا تماما، فأخبرت عن شدة خوف موسى **وهي (وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ)** ونحاول تحليلها هنا من جانبها اللغوي فقط لبيان كيف استطاعت اللغة أن تصور لنا انفعال الخوف الشديد عند موسى، فكان بناؤها اللغوي علي هذا النحو التالي:

أ ـ **التركيب**:

لقد صورت العبارة انفعال الخوف الشديد لديه بثلاث كلمات، هي:

1- الفعل " ولَّى " 2- الحال " مدبرا " 3- الفعل "لم يعقب "

نجد هنا فعلين بينهما حال؛ الفعل الأول صوَّر سلوكه بعد الفزع بأن جرى، ثم جاء الحال ليصف حال جريه بأنها حال فرار (مدبرا) وليست حال إقبال، ثم يأتي الفعل الثاني (لم يعقب) ليصف بصورة أدق ويوضح رد فعله علي انفعال الخوف كسلوك ناتج عن دافع هو شدة الفزع؛ وذلك بعدم التفاته خلفه، فانفعال الخوف الشديد منعه من مجرد النظر خلفه، فانطلق في طريق اللاعودة، خوفا من أن تتبعه الحية، فلم نجد فاصلا بين الفعل ولي، والحال مدبرا؛ مما يدل علي سرعة الفعل ورد الفعل عليه؛ فظهور الحية فجأة أفزعته، فتلاه رد الفعل أن (ولي مدبرا ولم يلتفت خلفه).

ب ـ **المفردات**:

(1) القرآن وعلم النفس، 73 .74.

الفعل **"وليَّ "** عبر عن شدة خوفه، لهذا سنراه يتكرر في مواقف أخري تخص انفعال خوف وردت ذكرها في القرآن الكريم[1].

الاسم **"جان"** صوَّر سبب الفزع الذي انتابه؛ لأنها تهتز كأنها جان.

كلمة "يا موسي" طمأنتْ موسى؛ وقد جاءت واحدة بالموضعين من الآيتين، فقد نادى الحق سبحانه عليه ليعلمه أن بالمكان من يعرفه باسمه، لذا أقبل موسى مطمئنا ناحية الصوت، وهذا يوضح الأثر النفسي للنداء عليه.

ج ـ الصوت:

جاء النبر في الكلمات (ولَّى ـ مدبرا ـ لم يعقب) علي المقطع الأول (وَلْ / مُدْ/ لَمْ) لإثارة انتباه السامع تجاه الأحداث السريعة؛ كسلوك هو رد فعل سريع من موسى جاء في شكل أحداث متتالية في سرعة شديدة، صدرت منه في التو واللحظة بعفوية تامة؛ نتيجة لما يعيشه الآن في هذه اللحظة؛ فكانت بدايات الكلمات كلها من مقطع من نوع واحد هو (ص ح ص) فكوَّن ذلك إيقاعا واحدا. منتظما. متكررا مع بداية كل كلمة، مما أعطي إحساسا بسرعة صدور الأحداث متتالية منه.

"جان" جاءت من مقطع واحد (ص ح ح ص) لتنطق دفعة واحدة؛ فتصور لنا الفزع الذي يعيشه موسى مع تحول العصا عندما ينطق بها القارئ ويطيل الحركة الطويلة بين الصامتين؛ فنشعر كأنها تهتز فعلا أمامه الآن؛ ولهذا لم يقل الحق تبارك وتعالى كأنها شيطان أو عفريت لهذا السبب الصوتي. استطاعت اللغة تصوير انفعال الخوف الشديد ورد فعل موسى السريع عليه؛ كأننا نعايشه لحظة خوفه؛.فكانت هذه العبارة خير مصور لذلك الخوف .

2ـ خوف موسى بعد قتله المصري:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر حركي بالخروج من المكان.

قال تعالى: **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾** [2] عندما قتل موسى المصري أصبح بالمدينة في حالة خوف و ترقب؛ فأصابته حالة من الخوف أشار إليها الحق في السورة نفسها في قوله تعالى: **﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾** [القصص/ 18] لكنه عندما علم بأنهم يعدون العدة لقتله؛ خرج منها خائفا يترقب، فجاءت الآيتان بوصف واحد لشدة خوفه و هو **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾** أي **(خَائِفاً يَتَرَقَّبُ)** ذلك لأن الآيتين تصوران حالة انفعالية واحدة ذات صفات واحد (حالة خوف وترقب من تعقب شخص له ليقتله) فجمعت بين صفتين هما الخوف والترقب في حالتين مختلفتين ؛ حالته في المدينة بعد القتل، وحالته عند خروجه من المدينة. جاء تصوير الآيتين هنا لانفعال الخوف بطريقة مختلفة عن تصويرها لانفعال الخوف السابق (أي

(1) كما سنري في وصف خوف المنافقين (**مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**).

(2) سورة القصص، 28 / 21.

حالة تحول العصا إلي حية) فهنا تخطيط لقتله يتم في هدوء، يحتاج إلي رد فعل مماثل له، وهو التخطيط للهرب، يتم في سرية وهدوء أيضاً.

مع المفسرين:

قال القرطبي:

" قَدْ تَقَدَّمَ فِي [طه] وَغَيْرِهَا أَنَّ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه عَلَيْهِمْ يَخَافُونَ؛ رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ غَيْر ذَلِكَ، وَأَنَّ الْخَوْف لَا يُنَافِي الْمَعْرِفَة بِاَللَّهِ وَلَا التَّوَكُّل عَلَيْهِ فَقِيلَ: أَصْبَحَ خَائِفًا مِنْ قَتْل النَّفْس أَنْ يُؤْخَذ بِهَا وَقِيلَ خَائِفًا مِنْ قَوْمه أَنْ يُسَلِّمُوهُ وَقِيلَ: خَائِفًا مِنْ اللَّه تَعَالَى وَ " أَصْبَحَ " يَحْتَمِل أَنْ يَكُون بِمَعْنَى صَارَ أَيْ لَمَّا قَتَلَ صَارَ خَائِفًا وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون دَخَلَ فِي الصَّبَاح، أَيْ فِي صَبَاح الْيَوْم الَّذِي يَلِي يَوْمه " وَخَائِفًا " مَنْصُوب عَلَى أَنَّهُ خَبَر " أَصْبَحَ "، وَإِنْ شِئْت عَلَى الْحَال، وَيَكُون الظَّرْف فِي مَوْضِع الْخَبَر، يَتَرَقَّب " قَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر: يَتَلَفَّت مِنْ الْخَوْف وَقِيلَ: يَنْتَظِر الطَّلَب، وَيَنْتَظِر مَا يَتَحَدَّث بِهِ النَّاس وَقَالَ قَتَادَة: " يَتَرَقَّب" أَيْ يَتَرَقَّب الطَّلَب وَقِيلَ: خَرَجَ يَسْتَخْبِر الْخَبَر وَلَمْ يَكُنْ أَحَد عَلِمَ بِقَتْلِ الْقِبْطِيّ غَيْر الْإِسْرَائِيلِيّ.. خَائِفًا يَتَرَقَّب" أَيْ يَنْتَظِر الطَّلَب"[1].

نفهم مما قاله القرطبي:

1- أن سبب خوفه أنه يتوقع أن يقتل، فهو خوف الحذر المترقب لطالبه.

2- أثر الخوف من توقع أن يُقْتَل علي حالته العامة الذهنية والبدنية في:

أ- الذهنية: تظهر في التشتت وعدم التركيز، فهو هائم علي وجهه.

ب - البدنية: تظهر في عدم رؤيته للطريق الصحيح الذي سيسلكه.

التأثير النفسي والعصبي:

أثر انفعال الخوف الشديد علي العصب البارسمبتاوي لديه؛ فأرسل إشارات إلي أعضاء الجسم بالابتعاد عن منطقة الخطر (مصر كلها) بإذن من موسى الذي بدأ يفكر في الخروج في هدوء وتمهل وتخطيط، لذا فهو علي الرغم من أنه هائم علي وجهه مشتت؛ إلا أنه لازال يفكر ويتدبر أمره في الهروب في تخف شديد، فجاء التعبير عن الحالتين الانفعاليتن (حالته بعد قتل المصرى، وحالته بعد علمه بالتخطيط لقتله) بعبارة واحدة تصف بدقة حالة خوفه، فهي حالة خوف مع ترقب **(خائفا يترقب)**.

اللغة وتصوير انفعال الخوف:

جاء تصوير انفعال الخوف بطريقة واحدة في الآيتين ففي **الآية الأولى**:

صور انفعال الخوف بالفعل أصبح، ثم الحال خائفا، ثم الفعل يترقب:

1- الفعل أصبح أعطي - كما قال القرطبي - احتمالين: أي أصبح في اليوم التالي أو أصبح بمعني صار، وفي كلا الاحتمالين يكون حال موسى قد تغير من الطمأنينة إلي الخوف، وميزت (خائفا) نوع التحول الذي أصابه

2- الفعل يترقب بيَّنَ الشق الثاني من الانفعال المصاحب للخوف و هو ترقب وتوقع القتل.

---

(1) تفسير القرطبي، ج7، ص4980 /4982.

الآية الثانية : صورت اللغة الانفعال بالفعلين " خرج / يترقب " بينهما الحال "خائفا".

1- الفعل الأول "خرج" الذي جاء بعده الحال "خائفا" ليبين أنه خرج في فزع.، لكن مع هدوء في السير لتوقع الرقيب، وليس بالفعل ولىَّ أي جرى.

2- الفعل "يترقب" أكمل صورة انفعال الخوف بتوقع الترقيب الآتي له.

3- جاءت (منها) فاصلة بين الفعل خرج وصفته (خائفا) لتعطي معني التمهل في الحدث، عكس ما حدث بالفعل (ولي) الذي تلاه بلا فاصل خائفا.

4- تعاون الفعلان والحال في تصوير حال الفزع التي تنتابه + حالة الترقب = النتيجة التي نفهمها من هذا التعاون (كرد فعل لحالة الخوف) ليست التي رأيناها في حالة رؤيته العصا تتحول إلي حية، فولى مدبرا ولم يعقب، لماذا ؟ إن انفعاله هنا يبدو انفعالا هادئا، لأنه لم يأته بغتة كسابقه، بل جاء بعد أن قتل ثم ذهب عنه انفعال الغضب الذي جعله يقتل، فبدأ يفكر في هدوء؛ ماذا سيحدث له بعد فعلته هذه ؟ فجاءه الخوف كشعور وإحساس وليس انفعالا، فنتج عنه التفكير الهادئ مع توقع القتل، فأصابه انفعال الخوف من القتل، ففكر في مخرج مما هو فيه؛ وهو الهرب.من مصر كلها.

الفرق بين رد الفعل علي انفعال خوف كسلوك لموسى في الحالتين:

أ ـ حالة رؤية العصا التي في يده تتحول إلي حية:

كان رد فعل موسى كسلوك صدر منه عند تحول العصا إلي حية؛ أنه ولي مدبرا، ولم يعقب، إنه رد فعل سريع علي خطر مداهم ظهر فجأة في وجهه، هنا يقوم العصب السمبتاوي الذي لا يأخذ أوامره من الشخص بإبعاده عن منطقة الخطر المباغت؛ فكان رد فعله الجري السريع، دون النظر إلي الخلف، فرد الفعل هنا يخضع لعملية عقلية عصبية لا سلطان لموسى عليها، وصور ذلك الفعل الأول (وليَّ) لبيان رد فعله السريع علي هذا الحدث المفاجئ، وتلاه الفعل (لم يعقب) أي لم يلتفت خلفه لشدة خوفه؛ ليوضح ويؤكد شدة الفزع الذي اصطدم به عند رؤية العصا، لهذا لا يريد أن يرجع ولو بالنظر لمنطقة الخطر.

كل هذا دون النطق بكلمة أو بصيحة استغاثة، لقد شلت أعضاء نطقه، ومنعت عن الكلام، لهول ما رأي.

ب ـ حالة الخوف بعد قتله المصري:

جاء وصف الخوف الذي أصابه بعد قتله للمصري في صورتين متماثلتين هما:

1- بعد القتل مباشرة: ذهب عن موسى انفعال الغضب الذي قتل بسببه؛ ليتملكه انفعال آخر، وهو إدراكه لخطورة ما فعل من قتل النفس، فاعتذر لخالقها وصانعها الله أولا، فطلب منه المغفرة فغفر له، لأنه أعترف بذنبه، وأسند فعله إلي الشيطان؛ وجاء انفعال الخوف هنا مصاحبا لحالة الترقب، فهناك خطر ما سيداهمه؛ ولكنه لا يدري من أين سيأتيه هذا الخطر،

فصاحب الخوف الترقب والتوقع للخطر، لهذا كان الخوف من نوع آخر ليس كالخوف الأول المفاجئ.

2 ـ الخروج من مصر: لازال انفعال الخوف السابق بكل خصائصه يسيطر عليه و هو انفعال الخوف مع الترقب للمجهول الذي سيقتله، فهو يتوقع قدومه في أي لحظة؛ إنه هارب من فرعون، لهذا خرج متخفيا ،يخشي الرقيب؛ فالانفعال هنا ـ كسابقه ـ يحتاج إلي حرص شديد، وتمهل في الحركة؛ فلا يكون سريعا، بل هادئا يسبقه إعداد وتخطيط دقيق، كما فعل بعد القتل مباشرة أصبح يترقب نتيجة الحادثة؛ فكان من علامات ذلك تمهله في لحظة الخروج وتوقع الرقيب؛ واللجوء إلي قوة أكبر للاستعانة بها هي الله سبحانه وتعالى؛ لهذا لجأ إليه عند خروجه داعيا إياه **﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [القصص: 21]

لقد فرق التعبير القرآني بين انفعال الخوف في حالة تحول العصا إلي ثعبان، وانفعال الخوف بعد قتله المصري؛ وذلك باستخدام فعلين يعبران عن معني واحد هو الذهاب (خرج/ ولي)، فكان كل منهما دقيق في موضعه في التعبير عن اختلاف نوع الانفعال علي الرغم من أنه انفعال واحد، هو انفعال الخوف، لكن رد فعل موسى علي خوف في الموقفين جاء مختلفا؛ وذلك لاختلاف نوع الخوف في الموقفين الذي ظهر في رد الفعل فيهما.

النوع الثاني: خوف المؤمنين

نوع الانفعال: انفعال ظاهر دون حركة في المكان

ورد وصف حالة خوف و فزع المؤمنين؛ وما أصابهم من تغيرات في يوم الأحزاب في قوله تعالي**﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ(10)﴾** [الأحزاب]

مع المفسرين:

قال القرطبي:

"إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم: (إذ) في موضع نصب بمعنى واذكر. وكذا، وإذ قالت طائفة منهم. قوله تعالى: **وإذ زاغت الأبصار:** أي شخصت، وقيل: مالت؛ فلم تلتفت إلا إلى عدوها دهشا من فرط الهول.

وبلغت القلوب الحناجر: أي زالت عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحناجر وهي الحلاقيم، وأحدها حنجرة؛ فلولا أن الحلوق ضاقت عنها لخرجت؛ قاله قتادة. وقيل: هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على إضمار كاد أي كادت تقطر. ويقال: إن الرئة تنفتح عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلا؛ ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره. وقيل: إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة، قال معناه عكرمة. روى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: بلغ فزعها. والأظهر أنه أراد اضطراب القلب وضرباته، أي

كأنه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة. والحنجرة والحنجور (بزيادة النون) حرف الحلق، **(وتظنون بالله الظنونا)** قال الحسن: ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون، وظن المؤمنون أنهم ينصرون. وقيل: هو خطاب للمنافقين؛ أي قلتم هلك محمد وأصحابه [1].

قال الرازي:

"وقوله **(إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم)**: بيان لشدة الأمر وغاية الخوف، وقيل: **(من فوقكم)** أي من جانب الشرق **(ومن أسفل منكم)** من جانب الغرب وهم أهل مكة **(وزاغت الأبصار)** أي مالت عن سننها فلم تلتفت إلى العدو لكثرته **(وبلغت القلوب الحناجر)** كناية عن غاية الشدة، وذلك لأن القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة، وقد يفضي إلى أن يسد مجرى النفس لا يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف ومثله قوله تعالى: **﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ﴾** [الواقعة: 83]" [2].

نفهم من أقوال المفسرين:

1- عندما فزع المؤمنون حدثت لهم تغيرات بدنية داخلية وخارجية هي:

أ - زاغت الأبصار: أي أنها تري ولا تري من شدة الخوف والدهشة.

ب - بلغت القلوب الحناجر: إشارة إلي شدة نبضات القلب وسرعتها وارتفاع حركة القلب معها، فيشعر المرء أن قلبه ينخلع منه، وبلغ الحلقوم من انتفاضته.

2- تحليلهم بتفصيل دقيق لما حدث من تغيرات جسدية ونفسية للمؤمنين دلَّ علي إدراكهم التام والواعي بتأثير الخوف عليهم، وهي تغيرات جسدية تُلْحظ بالعين.

3- إشارتهم إلي أن ما حدث من تغيرات جسدية كان بسببها شدة خوفهم.

الانفعال المكاني:

لماذا سميت هذا الانفعال بالانفعال المكاني؟ لأن كل ما صدر من جنود مسلمين في هذه اللحظة نتيجة الخوف؛ جاء رد فعله في المكان الذي هم فيه؛ فلم يفروا من مكانهم، ولذا سميته انفعال مكاني، فبدا عليهم هذا الفزع كرد فعل، لكنهم لم يفروا من مكانهم، لماذا (كما حدث في لموسى من الحية)؟ لأن هذا الفزع:

1- لم يأت فجأة، فهم هنا في حالة حرب، لهذا هم يتوقعون حدوث ذلك؛ فذهب عنهم عنصر المفاجأة التي تدعوهم للهرب، بفعل العصب السمبتاوي.

2- أن الهرب من ميدان القتال منهي عنه في الإسلام، فلن يفعلوه أبدا ولو قتلوا، وكذا المنافقون لن يفعلوه، مع فزعهم، لأنهم سيموت في الحالتين:

---

(1) تفسير القرطبي، ج8، ص5226.

(2) التفسير الكبير، أو مفتاتيح الغيب، الرازي، المكتبة التوفيقية، القاهرة2003، المجلد13، ج25، ص174.

أ ـ فلو هربوا فسيفضحون في داخل مجتمعهم المسلم، ويقتلون.
ب ـ لكنهم لو ثبتوا ثم قُتلوا؛ فيعدون ضمن الشهداء، لذا فضلوا الثانية.
ولكن يبقي انفعال الخوف الشديد سيد الموقف علي الرغم من ثباتهم جميعا في الميدان ، ذلك لأن توقع الحرب وهجوم الأعداء من كل مكان، يختلف تماما عن رؤيته واقعا فوق أعناقهم ، هنا يكون الفزع والخوف أشد.
التحليل النفسي لانفعال الخوف:
في هذا الموقف الانفعالي ظهرت دقة التصوير القرآني للحدث في استخدام (إذ) التي توضح تسلسل الأحداث وسرعتها، وقيمة عنصر المفاجأة؛ فقوله تعالى: (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) تلاها قوله (وإذ زاغت الأبصار) فقد جاء الفعل (جاءوكم) أولاً مسبوقاً بـ (إذ)، ثم جاء رد الفعل عليه في الفعل (زاغت) مسبوقاً بـ (إذ) أيضاً، أي عندما حدث الهجوم على المؤمنين من أعلى ومن أسفل كشيء مفاجئ مباغت لهم؛ أحدث فيهم خوفاً شديداً وفزعاً، فكان رد الفعل علي ذلك الخوف الذي نقله إلى عقولهم العصب السمبتاوي؛ بأن فقدوا السيطرة علي حواسهم وأعضاء جسدهم، فهي الآن خاضعة لسيطرة العصب السمبتاوي، الذي جعلهم في ثورة عارمة، فلا تواصل بين البصر وأجهزة استقبال الرسائل البصرية في المخ، لهذا تشتت البصر؛ فهم لا يرون شيئاً لعدم وصول الإشارات البصرية إلى المخ، فالأبصار في حالة ذهول، كذلك القلوب التي بلغت الحناجر؛ فأسرعت تنبض بشدة دليلاً على الارتباك وعدم السيطرة عليها، حتى الفكر فقد وصلته آثار هذا الانفعال الشديد؛ فبدأ في إعادة النظر في عقيدته التي خرج للجهاد من أجلها، وهو الجهاد في سبيل الله، لقد بدأت هذه الثورة الانفعالية في الوصول إلى فكر وعقيدة المنافقين، فظهر هذا في قوله: تعالى عنهم **(وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ)** أما المؤمنين فزلزلوا، لذا قال الله عنهم **﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾** [الأحزاب: ١١] هذا دليل على زعزعة الإيمان والاعتقاد في قلوب المنافقين، وقول الحق سبحانه (هنالك) أي في هذه اللحظة التي وقع فيها الهجوم؛ حدث هذا الخوف الشديد؛ فكان ابتلاءً علي المؤمنين، وإنه لشديد عليهم؛ فقد زلزلهم زلزالا شديدا، لقد أصاب الخوف والفزع الجيش كله، ولكنهم اختلفوا في رد فعلهم.
التحليل اللغوي للحدث:
جاء وصف الخوف الذي سيطر عليهم في جمل متنوعة صورته بدقة :
أولاً: جمل تصور الحركة: مثل جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، أي أنهم أُحِيط بهم، إذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنون.
ثانياً: جمل تصور الحيرة: في العقيدة والحيرة في الهرب من الخوف:إذ زاغت الأبصار/ وبلغت القلوب الحناجر/ وتظنون بالله الظنون .

ثالثاً: جمل قصيرة: زاغت الأبصار. بلغت القلوب الحناجر. تظنون بالله الظنون

فكان: لاجتماع هذه العناصر اللغوية أثر في بناء صورة متكاملة عن الفعل ورد الفعل وما يصاحبه من أحداث وآثار مادية ونفسية، **ذلك بتصوير سرعة الحدث** فكان استخدام (إذ) ثلاث مرات:

1-إشارة للمباغتة في الفعل ورد الفعل؛ في الجمل:

أ ـ (إذ جاءتكم جنود) بداية هجوم الأعداء، فقد جاء بغتة.

ب ـ (إذ جاءوكم) الإحاطة من كل مكان في هجوم مفاجئ أربك الجيش كله.

ج ـ (إذ زاغت الأبصار): تشتت الأنظار ونبضات القلب؛ فكانا رد فعل للحدثين.

د ـ التحليل اللغوي:جاءت إذ ثلاث مرات في هذا الموقف الانفعالي؛ فحملت في كل المواضع إشارة: 1- صوتية إلي سرعة الحدث، فجاءت مكونة من مقطع صوتي واحد (ص ح ص) ينطق دفعة واحدة،.فلا تصح هنا (إذا) ذات المقطعين.

2- إشارة دلالية علي المباغتة في الفعل ورد الفعل؛ فأعطت معني الإحاطة .

النوع الثالث: خوف الكافرين

نوع الانفعال: انفعال ظاهر بالحركة في المكان

1- قال تعالى: **﴿كَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12)﴾** [الأنبياء]

مع المفسرين:

قال الرازي:

قوله تعالى: (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون) فالمعنى لما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة ركضوا في ديارهم، والركض ضرب الدا بة بالرجل، ومنه قو له تعالى: **﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾** [ص: 42] فيجوز أن يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين[1].

قال القرطبي:

" « فلما أحسوا » أي رأوا عذابنا؛ يقال: أحسست منه ضعفا. وقال الأخفش « أحسوا » خافوا وتوقعوا. « إذا هم منها يركضون » أي يهربون ويفرون. والركض العدو بشدة الوطء. والركض تحريك الرجل؛ ومنه قوله تعالى: « اركض برجلك » وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر

(1) تفسير الرازي، المجلد 11، ج22، ص141.

حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل، والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض."[1] .

نفهم من كلام الشيخين أن الظالمين عندما شعروا بالعذاب قادما إليهم، تحولوا إلي خيل ترقض وتجري بلا هوادة، من شدة خوفهم من أن يقع بهم العذاب؛ فقول الرازي شبههم في سرعة جريهم علي أرجلهم بالراكبين الراكضين فجمع لهم بين صفة الإنسان والحيوان فالأول يركب والثاني يركض، وهو ليس مجرد إحساس بالخوف، بل هو علم حس ومشاهد فهم يركضون. لهذا السبب.

التحليل النفسي والعصبي للحدث:

عندما رأي القوم عذاب الله قادما إليهم؛ وأنه واقع بهم لا محالة، بدأ انفعال الخوف يعمل في قلوبهم وعقولهم لمجرد توقعهم العذاب؛ فحولهم إلي خيل تركض في أماكنها ولا تجري، فلا يجاوزون مكانهم من شدة الارتباك والفزع الذي هم فيه، فكان رد الفعل علي ذلك الخوف الشديد هو الجري كما في كل الحالات السابقة دون تفكير أو كلام أو مجرد صيحة تصدر منهم، أما في هذه المرة فالانفعال أشد والارتباك أعظم، فهم يجرون ولكن نظرا لشدة ارتباكهم يجرون في مكانهم، ومن شدة الخوف لا يدرون أهم راكبون كالبشر أم راكضون كالخيل، لانقطاع الصلة بين المخ وأعضاء الجسم التي تتلقي أوامرها مباشرةً منه عن طريق العصب السمبتاوي دون إدراك أو إذن منهم، ودون سيطرتهم عليه.

التحليل اللغوي:

جاءت كلمتان تعبران عن الفعل ورد الفعل في الآية هما:

1- أحسوا: فعل إدراك الخوف وتوقعه، أي أنهم أحسوا وشاهدوا مقدمة العذاب.

3- يركضون: هو رد الفعل علي هذا الخوف من العذاب القادم كركض الخيل فصوره لهم بما تفهمه عقولهم، فأشد شيء في السرعة بذهنهم هو ركض الخيل.

النوع الرابع: خوف المنافقين وحيرتهم

نوع الانفعال: الانفعال ظاهر حركي بالهرب من المكان

قال تعالى: **﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾**[2].

مع المفسرين:

قال القرطبي:

---

(1) تفسير الطبري، المجلد السابع، ص4315.

(2) سورة التوبة، 57/9 .

لولوا إليه أي لرجعوا إليه، وهم يجمحون أي يسرعون، لا يرد وجوههم شيء، من جمح الفرس إذا لم يرده اللجام ... والمعنى: لو وجدوا شيئاً من هذه الأشياء المذكورة لولوا إليه مسرعين هرباً من المسلمين [1].

قال الرازي:

قوله: (لو يجدون) ملجأ، الملجأ: المكان الذي يتحصن فيه، ومثله اللجأ مقصوراً مهموزاً، وأصله من لجأ إلى كذا يلجأ، لجأ بفتح اللام وسكون الجيم، ومثله التجأ وألجأته إلى كذا، أي: جعلته مضطرا إليه. وقوله: (أو مغارات)، هي جمع مغارة، وهي الموضع الذي يغور الإنسان فيه، أي يستتر . قال أبو عبيد: كل شيء جزت فيه فغبت فهو مغارة لك، ومنه غار الماء في الأرض وغارت العين وقوله: (مدخلا) معناه: المسلك الذي يستتر بالدخول فيه . قال الكلبي وابن زيد: نفقا كنفق اليربوع. والمعنى: أنهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه الثلاثة، مع أنها شر الأمكنة. (لولوا إليه) أي : رجعوا إليه. يقال: ولى بنفسه إذا انصرف، وولى غيره إذا صرفه. وقوله: (وهم يجمحون) أي: يسرعون إسراعاً لا يرد وجوههم شيء، ومن هذا يقال: جمح الفرس، وهو فرس جموح، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام، والمراد من الآية أنهم من شدة تأذيهم من الرسول ومن المسلمين صاروا بهذه الحالة واعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أشياء، وهي: الملجأ والمغارات والمدخل، والأقرب أن يحمل كل واحد منها على غير ما يحمل الآخر عليه، فالملجأ: يحتمل الحصون، والمغارات: الكهوف في الجبال، والمدخل: السرب تحت الأرض، نحو الآبار[2].

نفهم من قول المفسرين:

1- فعلهم هذا كان بسب تأذيهم من الرسول وهربا من المسلمين ومواجهتهم .

2- هذه أسوء الأماكن علي الأرض، ولكنهم قبلوا الذهاب إليها لشدة خوفهم.

3- يجمحون: ربط بين سرعة الخيل الجامحة وبين سرعة القوم في حالة فزعهم .

التحليل النفسي واللغوي:

تشير الآية إلى سلوك القوم كرد فعل لخوفهم بأنهم يجرون في سرعة كسرعة الخيل الجامح الآبق من صاحبه، فهو جامح أي لا يرده لجام، والجديد في التعبير عن شدة الخوف هنا أنه أخذه من سرعة الخيل، علي عكس ما كنا، نراه سابقا من التعبير عن الخوف بالجري السريع بالفعل (ولّى) فقط لماذا ؟ لأن فزع المنافقين أشد، فباطنهم (الكفر) يناقض ظاهرهم (الإيمان) لذا كان انفعالهم وفزعهم بسبب الخوف أشد من فزع الكافرين،

---

(1) تفسير القرطبي، 5/ 30005.

(2) تفسير الرازي، المجلد 8، ج 16، ص84 .

فهم يفرون كالفرس الجامح الذي لا يرده لجام، كما قال القرطبي، فهم يعانون من اضطراب داخلي، فينطلق الفزع والخوف من داخلهم.

الفضاء الذهني:

كان استخدام كلمة (يجمحون) مناسبا لعقول القوم؛ فهم لم يروا في عصرهم أشد سرعة من الفرس إذا خاف فجمح، وهنا استخدم أدوات البيئة؛ فيظهر أثر الفضاء الذهني الخاص بهم؛ الذي يحوي كل الأشياء الخاصة ببيئتهم البدوية، فظهر الفرس كأبرز موجودات هذا العالم البدوي بفضائه الذهني، وقد سبق ظهوره من قبل في انفعال خوف آخر في كلمة يركضون للفرس السريع أيضا.

الفزع: نجد في هذه الآية وسائل كثيرة تصور هلع وفزع المنافقين منها:

أولاً: تصوير حيرتهم في البحث عن مكان يختبئون فيه، ملجأ أو مغارة أو مدخل.

ثانياً: اتجاههم إلى هذا الملجأ في سرعة كبيرة فهم لا يولون بل هم يجمحون.

النوع الخامس: خوف لدى عامة الناس

1- خوف الناس عند رؤية أهل الكهف:

نوع الانفعال: الانفعال ظاهر حركي بالهروب من المكان

هناك صورة أخري للخوف الشديد؛ وذلك عند رؤية شيء مفزع فجأة - كما حدث لموسى عند رؤية العصا تتحول إلي حية تسعي - وهو تصوير الحق تبارك وتعالى لانفعال الخوف الشديد الذي ينتاب أي إنسان لو نظر إلي أهل الكهف؛ وهم أحياء ولكنهم ناموا (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)، يقول الحق: **﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾** [1]

إن مجرد النظر إليهم لأول وهلة، أي فجأة سيؤدي بك هذا المشهد المفزع المفاجئ إلي الآتي:

1- الهرب: عبر عنه بالفعل: وليت + التمييز: فراراً.

2- الرعب: عبر عنه بالفعل: ملئت + التمييز: رعباً.

مع المفسرين:

الرازي:

قال الرازي: (لو اطلعت عليهم) أي أشرفت عليهم، يقال: اطلعت عليهم أي أشرفت عليهم، ويقال: أطلعت فلانا على الشيء فاطلع، وقوله: لوليت منهم فرارا، قال الزجاج قوله: فراراً منصوب على المصدر؛ لأن معنى وليت منهم فررت، ولملئت منهم رعبا، أي فزعا وخوفا، قيل في التفسير: طالت شعورهم وأظفارهم وبقيت أعينهم مفتوحة وهم نيام، فلهذا السبب لو رآهم الرائي لهرب منهم مرعوبا، وقيل: إنه تعالى جعلهم بحيث كل من رآهم فزع فزعا شديدا، فأما تفصيل سبب الرعب فالله أعلم به[2].

نفهم من قول الرازي:

---

(1) سورة الكهف، 18 / 18 .

(2) التفسير الكبير للرازي، المجلد 11، ج 21، ص 94.

1- سبب أن الله ألقى الرعب في قلوب من ينظرون إليهم: كي لا يصل إليهم ولا يلمسهم إنسان فيوقظهم؛ حتى يأتي الأجل الذي أجله الله لهم ليظهروا؛ فيحتج فيه.

2- سبب الفزع منهم: هو هيئتهم من حيث: طول الشعر والأظافر وتفتح العينين.

3- حالة الرعب عند رؤيتهم تصيب كل البشر وذلك القول بعموم الحطاب.

4- سبب الخوف:

أ. علي ما جرت عليه العادة والطبيعة البشرية.من الخوف.

ب. عنصر المفاجأة وعدم العلم مسبقا.بأمرهم مما سبب فزعه.

التفسير النفسي العصبي:

ذكر الحق شرط حدوث الخوف والفزع لرؤيتهم هو عنصر المفاجأة، بدأ العبارة بالشرط؛ فشرط الفزع هو رؤيتهم فجأة، فينتج عن ذلك، أن يقوم العصب السمبتاوي كرد فعل للخطر الداهم غير المعروف وغير المتوقع؛ بأن يبلغ ـ فهو الحارس الأمين ـ المخ بذلك الخطر؛ فيعطي المخ أوامره إلي أعضاء الجسم بالهروب بعيدا عن المكان؛ دون أمر منك فانطلق جسدك منفذا ذلك الأمر دافعا بك بعيدا عن مكان الخوف، فهذا هو التفسير النفسي العصبي للحدث كما حدث لموسى من قبل.

عناصر لغوية صورت انفعال الخوف:

فقد صُوِّرَ هذا الفزع والرعب بأشياء كثيرة منها:

أ ـ الفعل "اطلعت" فمجرد الاطلاع عليهم يحدث لك كل هذا الخوف

ب ـ رد الفعل السريع علي عملية الاطلاع فقط صورته جملتان بفعلين وتمييزين:

الفعل الأول "وليت "، وتمييزه " فرارا ".ميز نوع الجري بأنه هرب.

والفعل الثاني"ملئت"، وتمييزه "رعباً". ميز نوع الامتلاء بأنه رعب.

2- خوف الناس في يوم القيامة:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر حركي وغير حركي

قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)﴾.**

مع المفسرين:

قال القرطبي:

قوله تعالى: (يوم ترونها) الهاء في ترونها عائدة عند الجمهور على الزلزلة؛ ويقوي هذا (تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها) والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا. وقالت فرقة: الزلزلة في يوم

القيامة؛ ... وقيل: تنسى. وقيل: تلهو؛ وقيل: تسلو؛ والمعنى متقارب. عما أرضعت.... ويحتمل أن تكون الزلزلة في الآية عبارة عن أهوال يوم القيامة؛... أي هي إذا وقعت شيء عظيم. وكأنه لم يطلق الاسم الآن، بل المعنى أنها إذا كانت فهي إذا شيء عظيم، ولذلك تذهل المراضع وتسكر الناس؛ كما قال: وترى الناس سكارى أي من هولها ومما يدركهم من الخوف والفزع، وما هم بسكارى (من الخمر) [1].

قال الرازي:

أ ـ أما قوله تعالى: (يوم ترونها...) والضمير في ترونها يحتمل أن يرجع إلى الزلزلة وأن يرجع إلى الساعة لتقدم ذكرهما، والأقرب رجوعه إلى الزلزلة؛ لأن مشاهدتها هي التي توجب الخوف الشديد. واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر من أهوال ذلك اليوم أموراً ثلاثة:

أحدها: قوله: (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي تذهلها الزلزلة، والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة، فإن قيل: لم قال مرضعة دون مرضع ؟ قلت: المرضعة هي التي في حال الإرضاع وهي ملقمة ثديها الصبي، والمرضع شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة، وقوله: (عما أرضعت) أي عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته، وهو الطفل فتكون ما بمعنى من على هذا التأويل.

و**ثانيها**: قوله: (وتضع كل ذات حمل حملها) والمعنى أنها تسقط ولدها لتمام أو لغير تمام من هول ذلك اليوم، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة إنما تكون قبل البعث، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام، وقال القفال: يحتمل أن يقال: من ماتت حاملاً أو مرضعة تبعث حاملاً أو مرضعة تضع حملها من الفزع، ويحتمل أن يكون المراد من ذهول المرضعة ووضع الحمل على جهة المثل كما قد تأول قوله: (يوما يجعل الولدان شيبا).

وثالثها: قوله: (وترى الناس سكارى) وفيه مسائل: ... المسألة الأولى: المعنى (وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق)، ولكن ما أرهقهم من هول عذاب الله تعالى هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم، وقال ابن عباس والحسن: ونراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب، فإن قلت: لم قيل أولا ترون، ثم قيل: ترى على الإفراد؟ قلنا: لأن الرؤية أولاً علقت بالزلزلة، فجعل الناس جميعا رائين لها، وهي معلقة آخراً بكون الناس على حال من السكر، فلا بد وأن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم، المسألة الثانية: إن قيل: أتقولون إن شدة ذلك اليوم تحصل لكل

(1) تفسير القرطبي، المجلد السابع، ص4396.

أحد أو لأهل النار خاصة ؟ قلنا: قال قوم: إن الفزع الأكبر وغيره يختص بأهل النار، وإن أهل الجنة يحشرون و هم آمنون. وقيل: بل يحصل للكل؛ لأنه سبحانه لا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله، وليس لأحد عليه حق[1].

نفهم من قول المفسرين:

الخوف الذي سيطر علي الناس في هذا اليوم أحدث تغيرات كثيرة منها:

1- تترك كل مرضعة حالة كونها ترضع رضيعها من هول ذلك اليوم.

2- تضع كل ذات حمل ما في بطنها من جنين .

3- تعم حالة الذهول علي الناس كأنهم في حالة سكر وفقدان للوعي.

التحليل النفسي لحادثة الخوف الشديد:

في هذا اليوم العصيب بدأ الحديث عن زلزلة الساعة كمصدر للخوف والفزع، فقد أصيب الناس في هذا اليوم بزلزلة شديدة وتملكهم الخوف والرعب، فكان لذلك الحدث آثاره علي الناس؛ فذكر القرآن أصنافا من البشر تأثروا بهول الساعة ، دون غيرهم من البشر، وكان لاختيارهم بالتحديد حكمة يعلمها الله، أظن أن منها :

1 - **المرأة المرضع**: هي المرأة التي تُرْضع بالفعل، ذلك لأنها تشعر وتحس في هذه اللحظة بحركة الوليد الذي يرضع منها؛ فلا تُذْهل عنه، لكنها الآن ذهلت لأن هول هذا اليوم أفقدها الشعور بأعضاء جسمها وحواسها التي تحس وتدرك بها الأشياء، فقد فصل العصب السمبتاوي بينها وبين أعضاء جسدها بأمر صادر من مخها؛ فقد أدي انفعال الخوف الشديد إلي إثارة هذا العصب؛ ففقدت الشعور والإدراك لما حولها، فهي في حالة ذهول؛.تري ولا تري.فنتج عن ذلك عدم سيطرتها علي حواسها الخارجية؛ من بصر لا يرى الطفل الذي ترضعه، وحواس لا تشعر بها، فلا تشعر بالثدي الذي تُرْضع منه، ولا الطفل الذي تحمله،.وكما قال الرازي " والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة ،... فقيل : مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة"[2]

2- **المرأة الحامل** : المرأة التي تحمل في بطنها جنينا، فهي حريصة علي ألا يسقط منها، لكنه يسقط منها الآن، وهي لا تشعر بذلك، لأنها فقدت الإحساس بأحشائها الداخلية، فلا تشعر بآلام المخاض، لما هي فيه من فزع وهول أشد من آلام المخاض، لأنه لا توجد صلة بين عقل وأحشاء المرأة لتعطيها الإحساس بالألم الذي يصدر إليها من المخ، فهذه الصلة منقطعة لشدة الخوف.

---

(1) تفسير الرازي، المجلد 12، ج23، ص5.

2) تفسير الرازي: :المجلد 12/ ج23 ص5

3- **الناس سكارى**: ثم نظر إلي حالة الخوف العامة التي تعم كل الناس، وهي حالة الفزع والدهشة التي جعلتهم كالسكارى، فهنا حالة سكر تعم الناس كلهم؛ وقوله تعالي (وما هم بسكارى) إشارة إلي استمرار وجود عنصر الإدراك لديهم وإن كان بنسبة أقل؛ فهم يدركون ما يحدث حولهم من الهول والزلزلة، فلا يغيبون عن الأحداث التي تحيط بهم - كما يحدث للسكران- بل يشاركون فيها بإحساسهم ومداركهم، فيصل الخوف إلي أمخاخهم، ويظل مسيطرا عليهم، وليعرفوا مصدر هذا الخوف، ويشعروا بأثره عليهم.

لقد كان اختيار الحق تبارك وتعالي لهذه الأصناف الثلاثة من البشر دقيقا؛ فهم قد صوروا هذا الفزع، علي الرغم من انشغالهم بأمورهم الضرورية، ولكن ما جاءهم أكبر وأشد مما هم فيه، وقد انتقل في تلك الحالات التي اختارها من الخاص إلي العام، فانتقل من حالة البلاء الخاصة بالمرأة المرضع والمرأة الحامل، إلي حالة البلاء العام التي تعم كل البشر؛ فجعلتهم كالسكارى.

التحليل اللغوي للحدث:

صورت اللغة حالة انفعال الخوف المسيطرة علي الناس بوسائلها مثل:

1- الفعل تذهل خير تعبر عن الذهول الذي أصاب المرأة المرضعة.

2- اختار (مرضعة) لأنها لا تضل عمن ترضعه الآن؛ لأنه بين يديها.

3- وكلمة (كل ذات حمل) أفادت عموم البلاء وشموله لكلهن.

4- كلمة (سكارى) عبرت عن حالة غياب الوعي التي عمت الناس كلهم

5- (وما هم بسكارى) نفي لما سبق من وصف لهم، بلا تعارض، لكنها دقة في الوصف، فليسوا سكارى بذهاب عقولهم، لكنهم في دهشة مع إدراكهم ما حولها.

3 - حالة الخوف والفزع في يوم القيامة:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر بالقول دون الحركة

صورت هذه العبارة شدة الخوف لدى الإنسان يوم القيامة عندما يصيح مستغيثا قائلا: أين المفر **﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾** [1] فهي جملة قصيرة ينطق بها الإنسان من شدة فزعه وهلعه، جاءت في صيغة سؤال لا جواب له، يقولها الإنسان الحائر الواقع في ضيق، لا يعرف أين يذهب، فحملت كل معاني الهلع، وأشارت إلي السلوك المعتاد الذي يسلكه الإنسان حالة خوفه الشديد؛ أنه يهرب ويجري بعيدا عن مصدر الخوف والفزع، لكن ما جاء بهذه الآية تصوير لحالة الخوف والهلع مع إضافة عنصر جديد من الانفعال؛ هو الحيرة في البحث عن مخرج أو مهرب من هذا الخوف، فهو لا يجد طريقا يسكه، فهول في ضيق شديد، ولا يجد مهربا منه، تلك

(1) سورة القيامة ، 75 / 10 .

الطامة الكبرى؛ فزع وهلع ولا مخرج ولا طريق يسلكه ليفر إليه، فينادي علي القوم أين السبيل يا قوم للهرب؟ ولا مجيب، لهذا يعد انفعالا مكانياً؛ لأنه عبر عن خوفه الشديد وحيرته وهو واقف في مكانه لم يفارقه.

الصورة الثانية للخوف: (آيات تخبر عن الخوف فقط)

توجد بالقرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلي حالات خوف متنوعة كالخوف: (من الله، من الموت، من الناس) لكن الآيات التي جاء فيها ذكر هذا الخوف؛ لم تصور لنا هذه الحالات بالتفصيل كما رأينا آنفا من خلال ردود أفعال أصحابها كسلوك يسلكونه، ولكن ما ورد من ذلك في النص القرآني هو مجرد إشارة إلى وجود حالة الخوف فقط، لذا رأيت أن أشير إليها فقط .كما وردت دون تحليلها نحو:

قال تعالى: **﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** [الزمر: 13]

قال تعالي: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: **37**].

قال تعالي: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: 10]

هذه الآيات تشير إلي حالات خوف فقط دون وصف أو تصوير لحالة المنفعل بسبب هذا الخوف ، فهي تأتي ضمن عملية الإخبار عن الخوف .

الفصل الثاني
انفعال الغضب

ما هو الغضب ؟

الغضب انفعال من النوع البسيط، إذ لا يتضمن أكثر من جانب وجداني واحد.

فائدة الغضب:

يؤدي الغضب وظيفة هامة للإنسان؛ حيث إنه يساعده علي حفظ ذاته فعندما يغضب الإنسان تزداد طاقته علي القيام بالمجهود العضلي العنيف. مما يمكنه من الدفاع عن النفس أو التغلب علي العقبات التي تعوقه عن تحقيق أهدافه الهامة" [1] "فقد يسهم الغضب في مستوى معين منه في إعادة التوازن حين يعبر عنه الإنسان بأسلوب معتدل، فيوجه سلوكه توجيها مفيدا" [2].

التعبير عن الغضب:

" لكل انفعال ناحية نزوعية خاصة به، فالغضبان يميل إلي مقاومة من أغضبه وإهلاكه إذا قدر، فإن لم يقدر ضرب الأرض بقدميه، أو رفص ما يصادفه من الأواني برجله ... لذا يوصف كل من الغضب والفرح بانفعال الأقدام، لما يصحبه من نشاط عام ظاهر يتوجه ضد العدو في حالة الغضب، ويظهر أثره في الحركات الحرة الطليقة في حالة الفرح.

"ويعد كل انفعال حالة وجدانية مركبة تصحبها تغيرات جثمانية متعددة، ظاهرة وباطنة؛ واضطرابات عصبية من المستطاع ملاحظتها ... وربما يكون الغضب الحاد أشد الانفعالات تأثيرا في الجسم والعقل؛ فلا شك أن كلا منا يذكر مقدار شعوره بالتعب والضعف العام عقب الثورة الغضبية... ولو أنهم فكروا لعلموا أن الغضب استنفد قوى الإنسان الطبيعية، ويضيع جزءا كبيرا من نشاطه العصبي المدخر في خلاياه العصبية، ذلك أن جميع الأجهزة تقريبا تكون في أثناء الغضب في حالة هيجان واضطراب ونشاط شديد، فتزيد ضربات القلب، وتسرع الدورة الدموية في سيرها. وتضطرب الأعصاب، وتتوتر العضلات، وتجهد الأحبال الصوتية وجميع الأعضاء التي لها علاقة بالكلام ورفع الصوت، وقد يبلغ الهيجان أشده فيزيد تمدد الأوعية الدموية حتى تنفجر، فيذهب الغضبان ضحية غضبه"[3]

وقد ورد ذكر الغضب في القرآن الكريم علي صورتين فقط هما:

الصورة الأولي لانفعال الغضب في القرآن:

الصورة التي نقصدها هنا لانفعال الغضب في القرآن هي ما جاء من تصوير دقيق لانفعال الغضب لحظة حدوثه، فنجده يصف بدقة حالة الانفعال التي يعيشها الفرد بملامحها الداخلية والخارجية كأنها تحدث الآن، فنعيش ذلك الانفعال معه، وقد جاءت هذه الصورة لوصف حالة الغضبان في مواضع منها:

1- وصف غضب موسى عندما عاد فوجد بني إسرائيل يعبدون العجل.

2- عند وصف **نمو انفعال غضب** لدي الخضر من كثرة أسئلة موسي.

---

(1) القرآن وعلم النفس، 79.

(2) البناء النفسي في الإنسان، 156.

(3) علم النفس التربوي، 160 . 199.

3- وصف غضب وغيظ المنافقين.وعضهم أناملهم حسدا للرسول الكريم.

4- كظم الناس غضبهم وخوفهم يوم القيامة.

الصورة الثانية لانفعال الغضب في القرآن:

لقد ورد في القرآن أخبار كثيرة عن حالة غضب لدي شخص ما (مؤمنا/ كافرا) دون وصف لها، لكنها رغم كثرتها لا تبين الجانب النفسي واللغوي للغضب؛.لذا جعلت دراستي هنا قاصرة علي الصورة الأولي للغضب، وسأحاول تقديم تحليل دقيق ودراسة متأنية لهذا النموذج الذي يعرض لانفعال الغضب بالتفصيل.

الصورة الأولي: تصوير انفعال الغضب

الموضع الأول: غضب موسى من قومه:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر قولي وحركي في المكان

تصور هذه الآية انفعال الغضب الذي أصاب موسي عندما رجع إلى قومه فوجدهم يعبدون العجل قال تعالي: **﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾** (1) .

مع المفسرين:

القرطبي:

يمكن عرض كلام الشيخ في النقاط التالية:

1- قوله تعالى: **(ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا)**... أسفا: شديد الغضب. قال أبو الدرداء: الأسف منزلة وراء الغضب أشد من ذلك. وهو أسف وأسف وأسفان وأسوف. والأسيف أيضاً الحزين. ابن عباس والسدي: رجع حزينا من صنيع قومه. وقال الطبري: أخبره الله عز وجل قبل رجوعه أنهم قد فتنوا بالعجل؛ فلذلك رجع وهو غضبان.

2- قوله تعالى: **(قال بئسما خلفتموني من بعدي)** ذم منه لهم؛ أي بئس العمل عملتم بعدي. يقال: خلفه؛ بما يكره. ويقال في الخير أيضا. يقال منه: خلفه بخير أو بشر في أهله وقومه بعد شخوصه .

3- **(أعجلتم أمر ربكم)** أي سبقتموه. والعجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، وهي مذمومة.... ومعنى **(أمر ربكم)** أي ميعاد ربكم، أي وعد أربعين ليلة. وقيل: أن تعجلتم سخط ربكم. وقيل: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر من ربكم.

4- قوله تعالى: **(وألقى الألواح)** فيه مسألتان: الأولى: أي مما اعتراه من الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل، وعلى أخيه في إهمال أمرهم.

---

(1) سورة الأعراف، 150 .

5- قوله تعالى: **(وأخذ برأس أخيه يجره إليه)** أي بلحيته وذؤابته. وكان هارون أكبر من موسى –صلوات الله وسلامه عليهما - بثلاث سنين، وأحب إلى بني إسرائيل من موسى؛ لأنه كان لين الغضب. " [1].

الرازي:

1- قوله تعالى: **(وَلَمَّا رَجَعَ موسى إِلى قَوْمِهِ غضبان أَسِفًا)** يدل على أنه حال ما كان راجعاً كان غضبان أسفاً، و هو إذما كان راجعاً إلى قومه قبل وصوله إليهم، فدل هذا على أنه عليه السلام قبل وصوله إليهم كان عالماً بهذه الحالة. الثاني: أنه تعالى ذكر في سورة طه أنه أخبره بوقوع تلك الواقعة في الميقات.

2- المسألة الثانية: في الأسف قولان: الأول: أن الأسف الشديد الغضب، وهو قول أبي الدرداء وعطاء، عن ابن عباس واختيار الزجاج. واحتجوا بقوله: **(فَلَمَّا ءاسَفُونَا انتقمنا مِنْهُمْ)** [الزخرف: 55] أي أغضبونا. والثاني: وهو أيضاً قول ابن عباس والحسن والسدي، إن الآسف هو الحزين. وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن أبا بكر رجل أسيف أي حزين. قال الواحدي: والقولان متقاربان، لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت. فتسمى إحدى هاتين الحالتين حزناً والأخرى غضباً، فعلى هذا كان موسى غضبان على قومه لأجل عبادتهم العجل، أسفاً حزيناً، لأن الله تعالى فتنهم. وقد كان تعالى قال له: **(إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ)** [طه: 85]...

3- أما قوله: **(بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِى)** فمعناه بئسما قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب إنما يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل، وهم: هارون عليه السلام والمؤمنون معه، ويدل عليه قوله: **(اخلفنى فِى قَوْمِى)** [الأعراف: 142].

4- وأما قوله: **(أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ)** فمعنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة، لأن معناها عمل الشيء في أول أوقاته.

5- ولما ذكر تعالى أن موسى رجع غضبان ذكر بعده ما كان ذلك الغضب موجباً له، وهو أمران: الأول: أنه قال: **(وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ)** يريد التي فيها التوراة، والأمر الثاني: من الأمور المتولدة عن ذلك الغضب. قوله تعالى: **(وَأَلْقَى الألواح وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ)** [2].

---

(1) تفسير القرطبي، ج/4، ص 2722. 2725.

(2) تفسير الرازي، المجلد الثامن، ج 15، ص10.

خواطر الشيخ الشعراوي (تحليل نفسي للآية):

نذكر هنا بعض خواطر الشيخ حول الآيات نظرا لتحليله النفسي الجيد الذي ذكره عن حالة الغضب التي أصابت موسى لحظة رؤيته قومه يعبدون العجل:

1- كون موسى يعود إلى قومه حالة كونه غضبان أسِفاً، يدلنا على أنه علم الخبر بحكاية العجل. والغضب والأسف عملية نفسية فيها حزن وسموها: " المواجيد النفسية " ، أي الشيء الذي يجده الإنسان في نفسه، وقد يعبر عن هذه المواجيد بانفعالات نزوعية، ولذلك تجد فارقاً بين من يحزن ويكبت في نفسه، وبين من يغضب، فمن يغضب تنتفخ أوداجه ويحمر وجهه ويستمر هياجه، وتبرق عيناه بالشر وتندفع يداه، وهذا اسمه: غضبان. وصار موسى إلى الحالتين الاثنتين؛ وقدّم الغضب لأنه رسول له منهجه. ولا يكفي في مثل هذا الأمر الحزن فقط، بل لابد أن يكون هناك الغضب نتيجة هياج الجوارح.

2- وقديماً قلنا: إن كل تصور شعوري له ثلاث مراحل: المرحلة الأولى. مرحلة إدراكية، ثم مرحلة وجدانية في النفس، ثم مرحلة نزوعية بالحركة، وضربنا المثل لذلك بالوردة. فمن يرى الوردة فهذا إدراك، وله أن يعجب بها ويسر من شكلها ويطمئن لها ويرتاح، وهذا وجدان. لكن من يمد يده ليقطفها فهذا نزوع حركي. والتشريع للإدراك أو للوجدان لكنه قنن للسلوك. إلا في غض البصر عما حرم الله وذلك رعاية لحرمة الأعراض. والأسف عند موسى لن يظهر للمخالفين للمنهج. بل يظهر الغضب وهو عملية نزوعية، ونلحظ بكلمة أسِف. وهي مبالغة. فهناك فرق بين أسِف وآسف، آسف خفيفة قليلاً، لكن أسِف صيغة مبالغة، مما يدل على أن الحزن قد اشتد عليه وتمكن منه.

3 - **(قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ)** [الأعراف: 150] وقوله سبحانه: **(أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ)** أي استبطأتموني، وهذا نتيجة لذهاب موسى لثلاثين ليلة وأتممها بعشر، فتساءل موسى: هل ظننتم أنني لن آتي؟ أو أنني أبطأت عليكم؟ وهل كنتم تعتقدون وتؤمنون من أجلي أو من أجل إله قادر؟.

4- **(أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ)**، ونعلم أن الألواح فيها المنهج، وقدر موسى على أخيه: **(وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ)** وهذا " النزوع الغضبي " الذي جعله يأخذ برأس أخيه، كأن الأخوة هنا لا نفع لها "[1]، إن ما قاله الشيخ يدل علي سعة علمه، وفهمه بدقة للجوانب النفسية للقضية؛ فلا يحتاج إلي توضيح.

التحليل اللغوي:

---

(1) موقع دار الإيمان الشبكة العنكبوتية.

نجد الآيات قد صورت الانفعال بدقة بالغة من خلال وسائلها المختلفة منها:
1- وصف حالة موسى عند عودته بـ "غضبان أسفا" فجمعت بين الانفعالين .
2- وصف رد فعل موسى على غضبه لسلوكهم جاء في صورتين:
أ) قوليٍّ: "بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم" قدَّمَ وصف سلوكهم (بئسما) علي سلوكهم (خلفتموني) لشناعته، وأردف بسؤال استنكر فيه عجلتهم.
ب) حركيٍّ بأن:
1- ألقى الألواح.
2- ثم أخذ برأس أخيه يجره إليه؛ وذلك في تسلسل منطقي دقيق للأحداث، فهو أولا أفرغ يده بأن ألقي ما فيها من ألواح، فأصبحت فارغة، ثم أخذ بها رأس أخيه يجره؛ فيكون وصفه بهذا دقيقا منطقيا. لقد صورت الآيات في جمل قصيرة شدة غضب موسى بالقول والحركة والفعل

التفسير النفسي لانفعال الغضب:

قال د. نجاتي عن هذه الآية "وقد جاء في القرآن وصف لانفعال الغضب وتأثيره في سلوك الإنسان، نجد ذلك فيما ذكره القرآن عن غضب موسى عليه السلام حينما عاد إلي قومه ووجدهم يعبدون العجل ... فألقى الألواح وأمسك برأس أخيه يجره إليه معاتبا " [1] نعرض الموقف في نقاط محددة هي بالترتيب:

1- بعد أن عاد موسي من عند ربه، وقد أخبره ربه بأنه اختبر قومه ففشلوا فكان لقاؤه بهم رد فعل وليس فعلا؛ فقد أعلمه الله سبحانه بالفعل الذي سبب غضبه، وهو عبادتهم للعجل، فوصفت الآيات رد الفعل، وقد عرفنا أن الله أخبره بذلك من قوله تعالي: ﴿**إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ**﴾ [طه: 85]، وقد أخبرت الآيات هنا عن حالته الانفعالية ونوعها عند عودته فقط (غضبان أسفا) ثم جاء ذكر رد الفعل.

2- هذا يعني أن الإنسان يمكنه أن يخزِّن انفعاله ويخفيه حتى يأتي الوقت المناسب ليظهره، فقد أخفي موسى انفعال غضبه أمام ربه، ثم أظهره عند عودته أمام قومه، ولم يظهره أمام ربه تأدبا مع الله، ولكي يكون الانفعال أمام المتسبب فيه، فيعقابه عليه، ويتلقي عقابه مباشرة.

3- جاء رد الفعل:
أ - قولي: بدأ به ليعبر عمّا بداخله من انفعال الغضب وسببه؛ ليكون مبرراً لأي سلوك سيفعله؛ فإنه سيكون رد فعل لانفعال الغضب المخزن داخله.

(1) القرآن وعلم النفس، 30.

ب ـ حركي: كان رد فعله الثاني حركي؛ فقد زاد انفعاله ونما، مما أفقده الشعور بما بين يديه من ألواح ظل ينتظرها أربعين ليلة، فألقاها لشدة انفعاله، فهو لا يراها ولا يشعر بها، ثم تنطلق براكين الغضب من داخله فيأخذ برأس أخيه يجره، فلم تمنعه علاقة الأخوة من فعل ذلك، ودافعه إلي هذه الثورة هو الغضب لأنه رسول الله فلابد أن يثور لله ولدينه فهو لا ينفعل ولا يغضب لنفسه بل لله .

كل تلك الأفعال كانت نتيجة لعدم سيطرته علي مخه،.وأن أعضاء جسده تتلقى الأمر بالحركة من المخ مباشرة وعبر عصبه السمبتاوي، دون تدخله.

الفرق بين رد فعل موسى عند غضبه وعند خوفه:

كان رد فعله عند الخوف غير لغوي؛ فلم ينطق بكلمة، لأن الفزع الشديد أسكته، لكنه كان حركيا بأن ولي مدبر ولم يلتفت، أما في حالة غضبه فقد كان رد فعله لغويا، فقال: بئسما...، وحركيا، بأن ألقي الألواح. لماذا؟ لأن:

أ ـ انفعال الغضب هو ثورة النفس، فهو ينطلق من نفسه، فخرجتْ نفسه لتعبر عن نفسها، فتكلم وتحرك معا في وقت واحد، فبطش بحواسه كيفما شاء وسبهم بلسانه؛ خاضعا لبركان غضب نفسه الذي ثار داخله، فأمره بأفعال لغوية وحركية ففعلها.

ب ـ أما انفعال الخوف: فإنه ثورة المخ التي تنطلق منه، في منطقة أخري لا سيطرة للنفس عليها، هي المخ الذي أبلغه عن طريق الحارس الأمين للجسد، وهو العصب السمبتاوي؛ أن هناك شيء سيدمر هذا البناء الذي هو حارس عليه فجاء رد الفعل دون تفكير أو رجوع إلي نفس موسى، ولا إلي لغته ليأخذ عبارة منها ينطق بها، فالموقف أكبر من ذلك؛ لهذا أخذ أوامره من (المخ) مباشرة، فهو المسيطر علي كل أعضاء الجسد؛ بأن يولّي ويفر من المكان، ولا تلتفت خلفه؛ فعل ذلك فورا.

ما بعد الغضب:

ثم يأتي قوله تعالي بعد ذلك **﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾** [1] تصور انفعال الغضب عنده كأنه إنسان يصيح ويتكلم ويثور، ثم يسكت ويهدء، إذن فالذي كان يتكلم ويتحرك ويفعل كل هذا ليس موسى، بل انفعال الغضب الذي سيطر عليه، ويمكننا القول: ليس موسى الذي يتحدث ويفعل كذا وكذا، بل ثورة الغضب وبركانها التي أمرته بهذا القول والفعل، قال القرطبي: "سكت أي سكن ... قال عكرمة: سكت موسى عن الغضب، فهو من المقلوب كقولك: أدخلت الإصبع في الخاتم وأدخل الخاتم في الإصبع[2]. وعلي الرغم من هذا التفسير فإن الذي حرك موسى لهذا الفعل والقول هو

(1) سورة الأعراف، 154 .

(2) تفسير القرطبي، 2728/4

انفعال الغضب الذي سيطر عليه من أجل الله، فقد رفض أن يُعبد غيرُ الله، لهذا فالذي سكت عن موسي هو انفعال الغضب، وثورة الغضب لله التي انطلقت من داخله.

الموضع الثاني: غضب الخضر من موسي (نمو الانفعال)

نوع الانفعال: انفعال ظاهر قولي وفعلي

هذا نموذج آخر لانفعال الغضب صورته الآيات القرآنية بصورة رائعة تدل علي أن الانفعال يبدأ هادئا ثم ينمو وتزيد فيه الأحداث، فيكبر حتى يصير ثورة عارمة، وتأتي اللغة القرآنية لتصوره بصورة دقيقة في تعبير بليغ، هو:

قصة موسي مع الخضر عليهما السلام:

هذه قصة انفعالين ظهرا وتطورا معا هما: انفعال الأستاذ الغاضب (الخضر) من تلميذه، وانفعال التلميذ المعتذر عن كثرة أخطائه (موسي) عليهما السلام.

1- تبدأ القصة بخروج التلميذ سعيا في طالب العلم، وإصراره علي الوصول له: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾** [لكهف: 60فسأظل ماضيا في طريقي باحثا أحقابا عن المعلم.

2- شهادة الله تعالى للأستاذ بسعة علمه وأن الله آتاه رحمة منه وعلما: **﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾** [الكهف: 65]. فقد أضافه الله إليه، وأن ما لديه من علم هو من الله سبحانه.

3- ثم طلب تعلم وتلمذة؛ مقدم من التلميذ موسى إلى الأستاذ الخضر: **﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾** [الكهف: 66].

4- رد الأستاذ بخطاب تحذيري إلى التلميذ من عدم صبره على هذا العلم: **﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾** [الكهف: 67].

5- تعليل المعلم عدم قدرة التلميذ على التعلم: **﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾** [الكهف: 68] بأنه لا يطيق الصبر علي ما لم يعلم.

6- وعد التلميذ بالصبر على تلك الدروس وعدم عصيان أمر أستاذه: **﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾** [الكهف: 69] .

7- بداية انفعال الغضب لفشل التلميذ في اختباره الأول، وتذكيره بتحذيره له: **﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾** [الكهف: 72].

8- بلوغ انفعال الغضب لدى الأستاذ إلى قمته، لتكرار التلميذ الخطأ نفسه: **﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾** [الكهف: 75].

9- ما بعد ثورة الغضب: اعتذار التلميذ واختياره عقابه بنفسه، وإيجاد العذر لأستاذه: **﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾** [الكهف: 76].

10- تكرار الخطأ وتنفيذ العقاب دون غضب أو اعتراض من التلميذ: **﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾** [الكهف: 78].

11- المعلم يشرح المعلومات المجهول في الدرس للتلميذ التي كانت سب فشله في التعلم: **﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** [الكهف: 78] .

12- الأستاذ يلخص درسه بعد الإنهاء من الشرح: **﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** [الكهف: 82] .

إن الدرس كله يلخص في عبارة واحدة تكررت خمس مرات في آيات متتالية هي (تستطيع معي صبرا) فظهر من الموقف التعليمي:

1- الهدف التعليمي: تعليم موسى الصبر على ما لم يعلم حتى يُعْلَم.

2- النتيجة التعليمية: فشل موسى لحرصه على تعلم كل شيء بحينه.

3- الأثر الصوتي لتكرار العبارة: ظهور نغم واحد موزع بالآيات.

هذه الآيات على تلك الصورة من التسلسل وضحت وجود انفعالين معا في موقف واحد، وكيف نما الانفعالان معا في وقت واحد وموقف واحد، وكيف استطاع التعبير القرآني تصويرهما معا.

مع المفسرين:

الرازي:

قال: "وأنه تعالى حكى عن ذلك العالم أنه ما زاد على أن ذكَّره ما عاهده عليه فقال: **(قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا)** وهذا عين ما ذكره في المسألة الأولى إلا أنه زاد ههنا لفظة لك لأن هذه اللفظة تؤكد التوبيخ؛ فعند هذا قال موسى: **(قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي)** مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته، وهذا كلام نادم شديد الندامة، ثم قال: **(قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا)** والمراد منه أنه يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتماله مرتين أولا وثانيا، مع قرب المدة" [1]. لقد استخلص الرازي من زيادة لفظة "لك" معنى نفسيا؛ هو الدلالة على انفعال الخضر من كثرة أسئلة موسي؛ فعبر الرازي بكلمة (التوبيخ) عن هذا الانفعال؛ مما استوجب على موسى أن يقول معتذرا: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني مما يعني إدراك موسى لخطئه، واختياره عقابه بنفسه، وإشارة إلى اعتراف موسى بصبر الخضر عليه، كذلك إدراك الرازي لقيمة كلمة (لك) ودلالتها الانفعالية، ورد فعل التلميذ علي انفعال أستاذه باختياره العقوبة التي توقع عليه في حالة

(1) تفسير الرازي، المجلد 11، ج21، ص141.

تكراره الخطأ نفسه كاعتذار منه لخطئه، وندم منه على الرغم من حرصه الشديد على مصاحبة الخضر في أسفاره، فعدم مصاحبة الخضر تعد أكبر عقوبة علي موسى أختارها بنفسه علي نفسه، وقد أوجد العذر لأستاذه..

التحليل النفسي واللغوي للموقف:

اجتمَع في هذا الموقف انفعالان؛ ينموان معا، كلاهما يختلف عن الآخر، فالأول انفعال الغضب، والثاني انفعال الندم والاعتذار عن الخطأ، فجاءت اللغة بوسائلها المختلفة لتعبر عن ذلك النمو؛ فكل من الانفعالين يسلك منهجا خاصا به في التعبير عن نفسه وعن نموه .

الأول: انفعال الغضب

1- بدأ بالتحذير من الوقوع في الخطأ لعدم قدرة موسى على الصبر.

اللغة :

أ ـ أكد علي تحذيره له بـ إنَّ، وأشار إلي نفي فعله ذلك مستقبلا بـ لن.

ب ـ الاستفهام الاستنكاري بين أن عدم صبره جاء لرغبته في العلم.

ج ـ مجيء إن واسمها (كاف الخطاب) في كلمة واحد وجه التحذير له في شدة.

2- شرط التعلم: أبلغ الأستاذ تلميذه شرطه الوحيد لكي يعلمه، بالَّا يسأل.

اللغة:

استخدام إن الشرطية جمع بين حدثين إتباع الخضر.وعدم سؤال موسى.

3- تذكير التلميذ بالتحذير.السابق حمل معني التهديد الضمني له.

اللغة:

أ ـ استخدام الاستفهام الاستنكاري المنفي بغرض توبيخه علي ما فعل

ب ـ تكرار التحذير السابق (إنك لن تستطيع معي صبر) .

4- بلوغ قمة الغضب مع توبيخ التلميذ لكثرة نسيانه وسؤاله.

اللغة:

استخدام عبارة التحذير نفسها للمرة الثالثة مع زيادة كلمة (لك) للتوبيخ .

الثاني: انفعال الندم والاعتذار

1- بدأ بالوعد بالطاعة مقابل المصاحبة فإن صبر وأطاع صحبه .

اللغة:

أ ـ استخدم السين في أول كلامه ليعبر عن وعده القادم.الذي سيفعله.

ب ـ وضع المشيئة بين المفعولين؛ لبيان أن مشيئة الله شرط لصبره.

2- الاعتذار الأول وتعليله له، وطلب الرفق، وأن الخطأ بسبب النسيان

اللغة:

أ ـ ظهور كلمة اعتذار أصبحت شائعة بين كل الناس: (لا تؤاخذني).

ب ـ استخدم لا الناهية في (لا تؤاخذني ولا ترهقني) تأدبا مع أستاذه.

ج ـ تعليل سبب نهيه بعده مباشرة؛ ليكون ردا علي سؤال لماذا نهاه؟

3- الاعتذار الثاني لم يجد تعليلا له، مما استوجب معه أن يضع العقوبة علي نفسه، وهو اعتذار ثالث، واعتراف منه بالخطأ غير المعلل،.وإقراره بصبر أستاذه عليه، وسعة صدره، وتحمله لكثرة أسئلته.

اللغة:

أ ـ بدأ بـ (إن) الشرطية ليحدد العقاب علي نفسه حالة تكراره الخطأ

ب ـ استخدم (قد) قبل الفعل بلغت للتأكيد علي بلوغه غاية الصبر.

اجتماع الانفعالين معا في عبارة:

بلغ الانفعالان القمة لديهما، فقد ضاق الأستاذ من التلميذ وضاق التلميذ من نفسه، عندها وصلا لعبارة لاقت قبولا لديهما هي(هذا فرق بين وبينك).

القيمة اللغوية لتكرار العبارة التحذيرية ثلاث مرات وهي:

1- قال **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** (الآية67)

2- قال أَلَمْ أَقُلْ **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** (الآية72)

3- قال أَلَمْ أَقُل لَّكَ **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا** (الآية75)

بالمقابلة بين العبارات الثلاثة يتبن الآتي:

أ ـ تكرار العبارة الأولي ثلاث مرات بصورة متطابق تماما بالعبارتين .

ب ـ تكرار العبارة التحذيرية الأولي؛ جاء تذكيرا له بما قاله في الأولى.

ج ـ بدأ نمو الانفعال في أول العبارتين التاليتين ليفرغ شحنته وثورته.

د ـ العبارة الثالثة تمثل قمة نمو الانفعال مع قمة الزيادة اللغوية، فدلَّ الثاني علي الأول، فكان قمة الزيادة اللغوية (ألم أقل لك) هي قمة نمو انفعال الغضب عنده.

هـ ـ استخدام الاستفهام المنفي مرتين، دلَّ علي شدة استنكاره لفعله، وصمت موسى دون رد عليهما، هو إقرار منه بقول الخضر، واعتذار واعتراف بخطئه.

" كظم الغيظ / تخزين الانفعال ":

هناك سلوك يأتي أحيانا مصاحبا للانفعال سواء كان انفعال خوف أو غضب أو غيرهما، فهذا السلوك هو رد فعل لانفعال الغضب، وتابع له؛ وذلك بكظمه، وهنا لا نسميه غضبا؛ بل تسميه غيظا؛ فهو غضب مع عدم القدرة علي التعبير عنه، فيضطر المنفعل إلي إخفائه، فنقول فلان يكظم غيظه، وهو حانق، فيخفيه لأن الوقت والمكان غير مناسبين لإظهاره، ويمكن تسميته (تخزين الانفعال) وهذا السلوك يشير إلي قدرة بشرية خاصة بالبشر، (وقيل إن بعض الحيوانات تفعل ذلك مثل الجمل، قيل إنه يخزن غضبه حتى تأتيه الفرصة فينتقم ممن أغضبه)، وقد أشار القرآن الكريم إلي تخزين الانفعال في مواضع كثيرة، منها:

أ ـ كظم المنافقين انفعال غضبهم وغيظهم من الرسول الكريم حسدا له.

ب ـ كظم موسى غضبه من قومه أمام ربك، حتى عاد، أدبا مع الله[1].
ج ـ كظم الغيظ يوم القيامة نتيجة انفعال الخوف..
د ـ مدح الله تعالي لكاظمين الغيظ [2].
الموضع الثالث: كظم المنافقين غيظهم.
نوع الانفعال: انفعال باطن حركي
قال تعالى **﴿هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [آل عمران: 119].
مع المفسرين:
القرطبي:
قوله تعالى: **(ها أنتم أولاء تحبونهم)** يعني المنافقين؛ دليله قوله تعالى: **(وإذا لقوكم قالوا آمنا)**؛ قاله أبو العالية ومقاتل. والمحبة هنا بمعنى المصافاة، أي أنتم أيها المسلمون تصافونهم ولا يصافونكم لنفاقهم. وقيل: المعنى تريدون لهم الإسلام وهم يريدون لكم الكفر. وقيل: المراد اليهود؛ قاله الأكثر. والكتاب اسم جنس؛ قال ابن عباس: يعني بالكتب. واليهود يؤمنون بالبعض؛ كما قال تعالى: **(وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه)** [البقرة: 91]. **(وإذا لقوكم قالوا آمنا)** أي بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. **(وإذا خلوا)** فيما بينهم **(عضوا عليكم الأنامل)** يعني أطراف الأصابع **(من الغيظ)** والحنق عليكم فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء ظهروا وكثروا. والعض عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه؛ ... وعض الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه، أو نزل به ما لا يقدر على تغييره. وهذا العض هو بالأسنان كعض اليد على فائت قريب الفوات وكقرع السن النادمة، إلى غير ذلك من عد الحصى والخط في الأرض للمهموم. وواحد الأنامل أنملة (بضم الميم)... قوله تعالى: **(قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور)** إن قيل: كيف لم يموتوا والله تعالى إذا قال لشيء كن فيكون. قيل عنه جوابان: أحدهما: قال فيه الطبري وكثير من المفسرين: هو دعاء عليهم. أي قل يا محمد أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا. فعلى هذا يتجه أن يدعو عليهم بهذا مواجهة وغير مواجهة بخلاف اللعنة. الثاني: إن المعنى أخبرهم أنهم لا يدركون ما يؤملون، فإن الموت دون ذلك. فعلى هذا المعنى زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع والإغاظة. " [3].
تحليل النفسي:

---

(1) سبق الحديث عنه في موضع سابق بهذه الدراسة.
(2) جاء ذلك في قوله تعالى مادحا المؤمنين: **(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** [آل عمران: 134].
(3) تفسير القرطبي، مجلد الثالث، 1423.

تصور الآية ما يفعله المنافقون من كظمهم غيظهم أمام المؤمنين، ففي هذا الموقف الانفعالي؛ نجد نمطا جديدا من التعبير عن الانفعال بكبته وعدم إظهاره؛ والتعبير عنه عن طريق عقاب النفس وتعذيبها كتعبير عن الانفعال مكبوت، لقد حلل القرطبي هذه الصورة من الغضب المكبوت بدقة بالغة تدل علي علم الرجل وفهمه للقضية، ويأتي د. عثمان نجاتي بتفسير نفسي دقيق للظاهرة، مستشهدا بهذه الآية، يقول "و يميل الإنسان إلي أن يستجيب لانفعال الغضب بتوجيه العدوان إلي العقبات التي تعوق إشباع دوافعه أو تحقيق أهدافه، غير أن كثيرا ما يحدث أن ينقل الغضب أو يحول إلي أشخاص آخرين لم يكونوا هم في الحقيقة العقبة التي حالت دون تحقيق أهداف الإنسان؛ أو لم يكونوا هم السبب الحقيقي في إثارة انفعال الغضب ... وتعرف هذه العملية بالنقل وقد ورد في القرآن مثال لنقل الغضب فيما قام به موسى عليه السلام حينما غضب من قومه لعبادتهم العجل، ولكنه وجه غضبه لأول وهلة إلي أخيه هارون عليه السلام فأمسك برأسه ولحيته يجره إليه غاضبا ...أو قد يتجه إلي ذاته هو نفسه فيقوم ببعض السلوك العدواني الموجه إلي ذاته. وذكر القرآن مثالا واقعيا يوضح عملية نقل العدوان وتوجيهه إلي الذات بدلا من توجيهه إلي الشخص المثير للغضب في الحقيقة، وذلك حينما وصف القرآن المنافقين وذكر أنهم يعضون أناملهم من غيظهم من المؤمنين. وحينما يعض الإنسان أنامله من الغيظ، فهو إنما يوجه العدوان إلي نفسه، ويقوم بإيذائها ـ ولو بشكل رمزي ـ بدلا من توجيه العدوان إلي الآخرين وإيذائهم" [1].

تحليل لغوي:

تظهر قدرة اللغة علي التصوير الدقيق للانفعال وتنوعه من خلال استخدام (إذا) هنا في هذا الموقف الانفعالي، وعدم استخدام (إذ)، حيث (إذا) تتكون صوتيا من مقطعين صوتيين هما: ص ح ص + ص ح ، و(إذ) تتكون من مقطع واحد هو: ص ح ص، أي أن (إذا) تحتاج إلي فترة زمنية أطول في النطق، مما يجعلها مناسبة أكثر للتعبير عن الانفعال الهادئ الذي في هذا الموقف، إنه انفعال غضب مكبوت مكظوم.مؤجل.

وفي مقابل ذلك نجد (إذ) تأتي في موقف افعال خوف شديد آخر، لكنه يشير إلي أحداث سريعة جدا تعبر عن فعل ورد الفعل في سرعة فائقة، كما في قوله تعالى: **﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُنُونَ﴾** [الأحزاب: 10].

الموضع الرابع: كظم الناس خوفهم يوم القيامة

نوع الانفعال: انفعال باطن حركة داخلية:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

---

(1) القرآن وعلم النفس، 81.

مع المفسرين:

القرطبي:

قوله تعالى: **(وأنذرهم يوم الآزفة)** أي يوم القيامة. سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب. وأزف فلان أي: قرب يأزف أزفا... **(إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين)** على الحال، وهو محمول على المعنى. قال الزجاج: المعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم ... وقال: المعنى إذ هم كاظمون. وقد قيل: إن المراد بـ " يوم الآزفة " يوم حضور المنية، قاله قطرب . وكذا إذ القلوب لدى الحناجر عند حضور المنية والأول أظهر. وقال قتادة: وقعت في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا تعود في أمكنتها، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة [1].

الرازي:

المسألة الثانية: اختلفوا في أن المراد من قوله: **(إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين)** كناية عن شدة الخوف أو هو محمول على ظاهره، قيل: المراد وصف ذلك اليوم بشدة الخوف والفزع ... وقيل: بل هو محمول على ظاهره، قال الحسن: القلوب انتزعت من الصدور بسبب شدة الخوف، **(وبلغت القلوب الحناجر)** فلا تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا، ولكنها مقبوضة كالسجال، وقوله: **(كاظمين)** أي مكروبين والكاظم: الساكت حال امتلائه غماً وغيظاً، فإن قيل: بم انتصب "كاظمين" ؟ قلنا: هو حال أصحاب القلوب على المعنى؛ لأن المراد إذ قلوبهم لدى الحناجر حال "كاظمين" كونهم، ويجوز أيضاً أن يكون حالاً عن القلوب، وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر، وإنما جمع الكاظمة جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء ... وبالجملة فالمقصود من الآية تقرير أمرين؛ أحدهما: الخوف الشديد وهو المراد من قوله: **(إذ القلوب لدى الحناجر)**، والثاني: العجز عن الكلام وهو المراد من قوله: **(كاظمين)** فإن الملهوف إذا قدر على الكلام حصلت له خفقة وسكون، أما إذا لم يقدر على الكلام وبث الشكوى عظم قلقه وقوي خوفه [2].

تحليل نفسي ولغوي للحدث:

عرض هذا الانفعال لعدة قضايا نفسية لغوية، منها:

أولاً: هذا الموقف الانفعالي يشير إلى حالة الخوف والفزع الذي ينزل علي الناس يوم القيامة، فالآزفة من أسماء يوم القيامة، وليس صحيحاً بأنه يوم خروج الروح، لأنه لا يتناسب مع الصفة الثانية للناس؛ فبعد بلوغ القلوب الحناجر من الخوف؛ لا يوجد سبب لحظة خروج الروح لكظم الخوف، فقد استسلمت الروح لباريها، أما في يوم القيامة فلا موت قط

(1) تفسير القرطبي، المجلد الثامن، ص5746.

(2) تفسير الرازي، المجلد الرابع عشر، ج27، 47ص.

فالناس أحياء مقبلين علي حياة طويلة لا يعرفونها، فهم في خوف شديد من مجهول مقبل عليهم، إذن المقصود بالآزفة هو يوم القيامة.

ثانياً: الجمع بين عمليتين نفسيتين هما: شدة الخوف، حيث بلغت القلوب الحناجر، وبين محاولة إخفاء هذا الخوف، بكظمه، فحدث ذلك في سرعة فائقة وصورة متتالية وترتيب دقيق، فالإنسان يصبه الخوفُ أولاً، ثم يبدأ بعد ذلك في إخفائه بكظمه، بهذا الترتيب جاءت الآية، خوف ثم كظم له.

ثالثاً: استخدام (إذ) ذات المقطع الصوتي الواحد للدلالة علي سرعة في الحدث، وبيان عنصر المباغتة بصورة أكبر، مما أظهر سرعة الفعل ورد الفعل، فجمع بينهما في جملة اسمية قصيرة مكونة من: مبتدأ وخبره؛ معقبا بالحال (كاظمين) فأخبر عن الخوف بمكان القلوب، وعن صفته بالحال.

الصورة الثانية للغضب: الإخبار عن الغضب فقط

ذكر الغضب في مواضع كثيرة في القرآن في صورة أخبار يقص فيها الحق خبر غضب علي العاصين من عباده، أو من غضبوا من خلقه، كعملية إخبار فقط دون وصف أو تصوير لحالة الغضب هذه، ولكننا لن نقف عندها لأنها لم تصور لنا انفعال الغضب وما يتبعه من سلوك يصدر من الشخص الغاضب يمكن تحليله. وبيان الجوانب النفسية فيه ودور اللغة في إظهاره.من هذه الآيات:

1- قوله تعالى: **﴿فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾** (1)

2- قوله تعالى: **﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** (2)

التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال:

"إذا انفعل الإنسان حدثت تغيرات فسيولوجية كثيرة في بدنه، كما حدثت تغيرات في هيئة بدنه الخارجية، وفي ملامح وجهه،...وقد وصف القرآن ما يحدث في القلب أثناء انفعال الخوف من خفقان شديد يؤدي إلي كثرة تدفق الدم إليه مما يزيد من حجمه ويجعله يقترب من القصبة الهوائية كما يؤدي إلي شعوره باقتراب قلبه من حنجرته " **﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّـهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)**[3]**﴾**.

وقد تناولت هذه الآيات التي ذكرتَ التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال في داخل الدراسة ضمنيا، ولا أريد أن أكررها.

---

(1) سورة البقرة، 90.

(2) سورة النور، 9.

(3) سورة الأحزاب، 10 ،11.

الفصل الثالث

خصائص التعبير القرآني عن الانفعال

من خلال الدراسة السابقة لانفعالي الخوف و الغضب نستطيع أن نكوِّن صورة للتعبير القرآني عن الانفعال؛ فقد تميزت اللغة التي عبر بها القرآن الكريم عن الانفعالين بخصائص لغوية صورتهما بدقة بالغة، وجاء علماء علم النفس بتحليلاتهم المختلفة ليوضحوا مدى مطابقة هذا الوصف القرآني لما وجدوه كباحثين ودارسين للنفس الإنسانية؛ عبر عنها القرآن بلغة عربية فصيحة؛ دخلت إلي دقائق النفس البشرية، كأنها معمل تحليل وتصوير ، قام بتحليلها وتصويرها بدقة بالغة؛ فقد استطاعت تلك اللغة التمييز بين أنواع الانفعال الواحد ، وكذلك ما يمكن أن يصاحبه من انفعالات أخري.

لهذا كان علينا (بعد أن حللنا الانفعالين نفسيا ولغويا) أن نستخلص العلاقة بينهما من خلال هذا الفصل؛ فنقابل بين الحالة الانفعالية بخصائصها الدقيقة وبين القدرة اللغوية للعبارة القرآنية علي تصويرها، وكيف استخدم النص القرآني كل إمكانات اللغة في تصويره للانفعالين، بل كيف استخرج منها من بها من وسائل تعبير تظهر في دقة الألفاظ والتراكيب والأصوات والأبنية ، للتخرج لنا مكنون النفس البشرية، لنقول مع الراسخين في العلم **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾** [آل عمران: 7] آمنا به كل من عند ربنا؛ فصدقت يا ربي صدقت وبلَّغ نبيُك الكريم ما أرسلت.

نحاول هنا استخلاص بعض سمات اللغة الانفعالية في التعبير القرآني وقدرتها علي تصوير دقائق النفس الإنسانية عند انفعالها، في هذه المواقف:

أ ـ عند خوف موسى من العصا:

الأصوات:

جاء النبر في الكلمات (ولَّى ـ مدبرا ـ لم يعقب) علي المقطع الأول (وَلْ / مُدْ/ لَمْ) لإثارة انتباه السامع تجاه الأحداث السريعة؛ كسلوك هو رد فعل سريع من موسى جاء في شكل أحداث متتالية في سرعة شديدة، صدرت منه في التو واللحظة بعفوية تامة؛ نتيجة لما يعيشه الآن؛ فكانت بدايات الكلمات كلها من مقطع من نوع واحد هو (ص ح ص) فكوَّن ذلك إيقاعا واحدا منتظما. متكررا مع بداية كل كلمة، مما أعطي إحساسا بسرعة هذه الأحداث وتواليها منه.

"جان" جاءت من مقطع واحد (ص ح ح ص) لتنطق دفعة واحدة؛ فتصور لنا الفزع الذي يعيشه موسى مع تحول العصا عندما ينطق بها القارئ ويطيل الحركة الطويلة بين الصامتين؛ فنشعر معها كأنها تهتز فعلا

أمامه الآن؛ ولهذا لم يقل الحق تبارك وتعالى كأنها شيطان أو عفريت لهذا السبب الصوتي.

المفردات:

استخدام الفعل "وليَّ" ليعبر عن شدة خوفه، لهذا سنراه يتكرر في مواقف انفعال خوف بكثرة وردت في القرآن الكريم[1].

كلمة"جان" صورت سبب الفزع الذي انتابه؛ فهي تهتز كأنها جان ففزع بشدة.

"يا موسي" كلمة طمأنة لموسى؛ جاءت واحدة في الموضعين، لتوقف فزعه. فهناك شخص بالمكان يعرفه باسمه، لذا نادي عليه فأقبل مطمئنا ناحية الصوت.

التركيب:

جاءت العبارة التي تخبر عن الفزع الشديد في جملتين قصيرتين، كأنها تصدر حكما ولا تخبر خبرا يصف رد فعله في هذه اللحظة، فصورت انفعال الخوف الشديد بثلاث أشياء، هي:الفعل "ولَّى" والحال "مدبرا".والفعل "لم يعقب".

والدليل علي أن العبارة حكم علي سلوك موسى لحظة رؤية الحية الإيجاز الشديد فيها بحذف الفاعل في الجملتين نجد هنا فعلين بينهما حال؛ الفعل الأول صوَّر سلوكه بعد الفزع بأن جرى، ثم جاء الحال ليصف حال جريه بأنها حال فرار (مدبرا) وليست حال إقبال، ثم يأتي الفعل الثاني (لم يعقب) ليصف بصورة أدق ويوضح رد فعله علي انفعال الخوف كسلوك ناتج عن دافع هو شدة الفزع؛ وذلك بعدم التفاته خلفه، فانفعال الخوف الشديد منعه من مجرد النظر خلفه، طريق اللا عودة، خوفا من أن تتبعه الحية فلم نجد فاصلا بين الفعل ولي، والحال مدبرا مما يدل علي سرعة رد فعله علي هذا الحدث ـ ظهور الحية ـ فجأة فقد أفزعته، فولي مدبرا ولم يلتفت خلفه. كل هذه المعاني فهمناها من عبارة قصيرة جاءت في جملتين.

الدلالة:

التعبير عن معني السرعة الفائقة باستخدام الفعل الدال علي الحدث، أو ألفاظ أخرى تحمل الدلالة نفسها (السرعة الفائقة) نحو:

1- استخدامه الفعل الدال علي السرعة (وليَّ).

2- التعبير عن معني السرعة بكلمات تنتمي إلي الحقل الدلالي نفسه، ولكنها ترتبط بأشياء أخري عرفت بالسرعة الشديدة أيضا، نحو: تركضون وتجمحون، فهما ينتميان إلي حقل السرعة وترتبطان بمخلوق عرف بالسرعة وهو الفرس.

---

(1)كما سنرى في وصف خوف المنافقين (**مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**).

ب ـ انفعال الخوف لدي موسى عند خروجه من مصر:

لقد فرق التعبير القرآني بين انفعال الخوف في حالة تحول العصا إلي ثعبان، وانفعال الخوف بعد قتله المصري؛ وذلك باستخدام فعلين يعبران عن معني واحد هو الذهاب (خرج/ ولي)، فكان كل منهما دقيق في موضعه في التعبير عن اختلاف نوع الانفعال علي الرغم من أنه انفعال واحد، هو انفعال الخوف، لكن رد فعل موسى علي الخوف في الموقفين جاء مختلفا ؛ وذلك لبيان الاختلاف في رد فعل انفعال الخوف في الموقفين عند الشخص الواحد

ج ـ الفرق بين (إذ / إذا) في التمييز بين أنواع الانفعال الواحد:

جاءت (إذا وإذ) في مواقف انفعالية مختلفة؛ لتعبرا عن رد الفعل علي انفعال واحد هو انفعال الخوف، فجاءت كل واحدة منهما في موضع مختلف عن أختها لتناسب هذا الموضع الذي جاءت فيه، لتبين بذلك اختلاف الدقيق بين أنواع الانفعال الواحد (انفعال الخوف) كما في هذه الآيات:

أولاً: (إذ) في سورة الأحزاب الآية 9 و10:

جاءت (إذ) هنا للدلالة علي السرعة الفائقة لرد الفعل علي انفعال الخوف والفزع الشديدين في يوم الأحزاب، وذلك من خلال الظهور المفاجئ لجنود الكفار من كل مكان، فكان استخدام (إذ) ثلاث مرات للدلالة علي سرعة الأحداث وتتابعها والمباغتة في الفعل ورد الفعل؛ بهذه الجمل:

أ ـ **(إذ جاءتكم جنود)**: بداية هجوم الأعداء بغتة.(فعل: حادثة الهجوم)

ب ـ **(إذ جاءوكم):** من كل مكان بهجوم مفاجئ أربككم (فعل: الإحاطة).

ج ـ **(إذ زاغت الأبصار)** زاغ البصر (رد الفعل علي الحدث والإحاطة)

التحليل اللغوي:جاءت (إذ) ثلاث مرات؛ فحملت في كل مرة إشارة :

1ـ صوتية إلي سرعة الحدث بتكوينها الصوتي من مقطع قصير مغلق.

2ـ دلالية علي المباغتة في الفعل (جاءوكم) ورد الفعل (زاغت).

(إذ) في سورة غافر الآية 18:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر: 18] .

جاءت (إذ) هنا للدلالة علي السرعة الكبيرة لرد الفعل علي انفعال الخوف الشديد الذي يحدث للناس يوم القيامة، كأن القلوب وصلت بالفعل فجأة إلي الحناجر مشحونة مكبوتة بانفعال الخوف.

ثانياً: (إذا) في سورة آل عمران الآية 119:

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ .

جاءت (إذا) هنا للتعبير عن انفعال الغضب والحسد المكبوت والمكظوم في نفوس المنافقين، لهذا جاءت (إذا) المكونة من مقطعين هما: (ص ح ص/ ص ح) لأن رد الفعل هنا ليس سريعا كما في الانفعالين السابقين، ولا

يحتاج إلى السرعة في التعبير عنه، بل يحتاج إلي التمهل والتفكير الهادئ، وكبت هذا الانفعال والتعبير عنه بين المنافقين فقط.

(إذا) في سورة الأنبياء الآية 12:

﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾

جاءت (إذا) هنا لدلالة علي رد الفعل السريع، ولكن ليس بالسرعة السابقة التي رأيناها عند وصفه لفزع الناس يوم القيامة، أو التي رأيناها في فزع الناس في الحرب، أما هنا فالأمر مختلف، فهؤلاء القوم أحسوا وتوقعوا فقط، كمجرد إحساس وتوقع لبأس الله، فقاموا يرقضون؛ لكن في سرعة أقل من حالة الفزع المفاجئ والرؤية العينية للهول، فهم في حالة شك في الأمر؛ فخرجوا يتحسسون الأمر، فجاءت (إذا) وليس (إذ) لتعبر عن الاختلاف في سرعة رد الفعل في الحالتين، فالفرق بين إذا وإذ صوتي، ليناسب طبيعة الانفعالين؛ الانفعال السريع وأشد منه سرعة.

د ـ أثر نمو الانفعال علي بناء العبارة الانفعالية:

عندما ينفعل الإنسان وينمو انفعاله ويزيد، ويعبر عن ذلك بعبارة تدل علي غضبه؛ فنجده يكررها بنفسها، مع زيادة تدل علي هذا النمو مع بقاء العبارة الأصلية، وهذا ما حدث للخضر عليه السلام عندما غضب من موسى عليه السلام؛ فقال له عبارة تكررت ثلاث مرات: **(إنك لن تستطيع معي صبرا)** مما يدل علي ثبات الذاكرة عند الانفعال علي عبارة واحدة يكررها مع زيادة تدل علي نمو الانفعال، انظر إلي هذه العبارات ولاحظ نمو الانفعال وتعبير اللغة عنه:

1ـ قال : **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** (الآية67)

2ـ قال أَلَمْ أَقُلْ: **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** (الآية72)

3ـ قال أَلَمْ أَقُل لَّكَ: **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا** (الآية75)